

سلطنة عمان
كلية العلوم الشرعية



بحث تخرج بعنوان /

الفكر السياسي من خلال سيرة الإمام محمد بن عبد الله الخليلى ت: 1299 - 1373هـ

اسم الباحث: سليمان بن سامي بن سليمان الحسني

المشرف: د. إبراهيم بن يوسف بن سيف الأغبري

المناقش: د. إسماعيل بن صالح الأغبري

العام الدراسي: 1436 - 1437هـ // 2015 - 2016 م

الإمام

إلى والديَّ الكريمين.. اللذين صنعاني على
عينهما

إلى شيفي حمود الصوافي.. الذي علمني كيف
أبصر

إلى الروح الرضية.. روح الإمام

محمد بن عبد الله الخليلي

نور الله قصوره في الجنة

شكرا وتقديرنا

أشكر مشرف البحث، الدكتور إبراهيم بن يوسف الأغبري، على ما

سددني فيه ووجهني

من خطة البحث، حتى صلب موضوعه

وأشكر له تحمله وصبره، رغم التقصير الذي كان من طرفي تجاهه

كما أشكر الأخ الفاضل سيف بن سليمان الحوسني

الذي تفضل علي مشكورا بتصميم الواجهة للبحث

وأخيرا، أشكر كل من ساعدني بإعارة كتاب أو إرشاد إليه أو إخبار

عنه

لهم جميعا الشكر والتقدير..

ملخص البحث:

-الهدف من البحث:

تتبع سيرة الإمام الخليلي خلال مدة حكمه، واستخلاص مظاهر الفكر السياسي منها.

-مشكلات البحث:

حالة الدولة في ظل حكم الإمام الخليلي

طبيعة حكم الإمام الخليلي لرعيته

مدى نجاح سياسة الإمام الخليلي وتقبل الرعية لها

المؤهلات التي كانت لدى الإمام الخليلي للحكم

- منهجية البحث: تاريخي.

- محتويات البحث:

الفصل الأول: الفكر السياسي.

المبحث الأول: التعاريف.

المبحث الثاني: نشأة الفكر السياسي وتطوره.

المبحث الثالث: قضايا الفكر السياسي.

الفصل الثاني: حياة الإمام والأحوال السياسية المؤثرة.

المبحث الأول: ترجمة الإمام محمد بن عبد الله الخليلي.

المبحث الثاني: نظام الإمامة.

المبحث الثالث: الظروف المحيطة ذات التأثير على فكر الإمام.

الفصل الثالث: الجوانب التي يبرز خلالها فكر الإمام السياسي.

المبحث الأول: نظام الحكم عند الإمام وسياسته مع الولاة والعمال.

المبحث الثاني: تعامل الإمام مع الرعية.

المبحث الثالث: تعامله مع العلماء.

المبحث الرابع: التصرف إزاء الفتن والمعارك.

المبحث الخامس: علاقته مع الحكومات الأخرى.

أهم النتائج:

- هدف الدولة عند الإمام: تحقيق الشريعة الإسلامية، واستقرار الرعية.

- نظام الحكم: تكون السلطة العليا للإمام.

- صفات الحاكم: العلم، والتقوى، والتواضع، والكرم.

- طبقات الشعب: الرعية، وزعماء القبائل، والعلماء.

- الحكم عند الإمام لا يقتصر على الاهتمام بشؤون السياسة.

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلق الأكوان بقدرته، وأتقنها بحكمته، وزينها بعدلته.

والصلاة والسلام على نبي الدولة والدين، محمد رسول الله، وعلى آله وأصحابه الطاهرين.

هذا بحث التخرج أقدمه لنيل شهادة البكالوريوس من كلية العلوم الشرعية، وأقدمه لكل من يهتم
أمر هذا الإمام العظيم رضوان الله عليه، وأمر سيرة حكام العدل والصلاح، وسياستهم في رعيته.

سائلا الله تعالى التوفيق والتسديد، وأن يكون ما أخطه هنا منفعة للقطر العماني، والمذهب
الإباضي، والأمة الإسلامية، وأن يجعله صدقة جارية، وقرية إليه، بالوجه الكريم لإمام المسلمين محمد
بن عبدالله بن سعيد الخليلي، عليه شآبيب الرحمة.

أهمية البحث:

يأتي هذا البحث ليغطي جزءا مهما من التاريخ العماني، لشخصية بارزة لها وزنها وشهرتها، وما
زالت آثارها باقية إلى اليوم وهي شخصية الإمام محمد بن عبدالله الخليلي، وكيف قاد دولته في مدة
حكمه لخمس وثلاثين سنة، رغم الأوضاع القاسية التي كانت تمر بها ذلك الحين.

أسباب اختيار الموضوع:

التعرف على شخصية الإمام السياسية، ومنهجها في الحكم. فكم أثيرت دراسات عن جهوده
الإصلاحية، ومكانته الفقهية، ومدرسته العلمية، وآثاره الفكرية والتربوية. لكن لم أجد فيما اطلعت
عليه من أفرد دراسة خاصة لحكمه وسياسته -إلا ضمن فروع داخل الدراسات- مع أن هذا هو
الجانب الأبرز منه، فقد عُرف في المقام الأول إمام دولة وقائد أمة.

مشكلة البحث:

حالة الدولة في ظل حكم الإمام الخليلي

طبيعة حكم الإمام الخليلي لرعيته

مدى نجاح سياسة الإمام الخليلي وتقبل الرعية لها

المؤهلات التي كانت لدى الإمام الخليلي للحكم

أسئلة البحث:

هل كانت للإمام الخليلي ميزات عن غيره من الأئمة؟

ما مكانة الإمام بين الحكام ذلك الوقت؟

كيف كانت نظرة الإمام للحكم ومهامه؟

الدراسات السابقة:

يوجد بحث تخرج في كلية العلوم الشرعية بعنوان:

"الإمام الخليلي ومنهجه الفقهي" لمحمد بن أحمد الخليلي

وبحث بنفس المكان مقدم لمسابقة ابن عمير، بعنوان:

"الآثار الفكرية عند الإمام محمد بن عبد الله الخليلي" لإسحاق بن سيف الزهيمي

وفيها تحدث الباحث عن سيرة الإمام الخليلي، معرجا على الحالة السياسية والاقتصادية لعصره،

ثم اسمه ونسبه ونشأته.

وتطرق بعدها إلى آثاره الفكرية من نتاجاته ومدرسته وتلامذته، ثم مصادره الفكرية التي جعلها شيوخه والمصادر العلمية والواقع والتجربة.

وأخيرا تحدث عن أثر الإمام الفكري على الصعيدين الداخلي والخارجي.

إضافة إليها دراسة لإبراهيم بن محمد الشكيلي، بعنوان:

"مدرسة الإمام محمد بن عبد الله الخليلي وأثرها في نشر العلم" وقد طبع هذا البحث في كتاب

وكما هو الواضح من عنوان هذه الدراسة، فبعد أن مر على لحظة من عصر الإمام الخليلي

وحياته، ركز على مدرسة الإمام الخليلي في نزوى، وإدارتها ومدرسيها ومجالاتها العلمية،

وخريجها، وأخيرا آثار هذه المدرسة.

وكما ترى، فهذه الدراسات وإن تطرقت إلى موضوع السياسة، وسأقت مواقف مهمة يمكن

الاستفادة منها في هذا الأمر، غير أن الموضوع ما زال لم يوف حقه من الدراسة والتحليل،

فجاءت هذه الدراسة لتغطي جزءا من هذا الجانب، وعسى أن تكون بابا لدراسة متعمقة

أخرى.

منهجية البحث:

اتبعت في هذه البحث المنهج التاريخي التحليلي، بحيث تتبع ما قدرت عليه من مواقف الإمام،

ومراسلاته، ثم حللتها وحاولت استنباط ما يخدم موضوع الدراسة.

وقدمت قبل ذلك بعرض لمباحث الفكر السياسي ونشأته وتطوره، ليكون القارئ على علم بما

نتحدث عنه في البحث، وتحصل له خلفية عن "مصطلح الفكر السياسي" لئلا يُخلط بينه وبين

غيره.

هيكـل البـحث:

جعلت هذا البحث من ثلاثة فصول، الأول كان عن الفكر السياسي عموماً، لمعرفة ما نحن بصدد، والثاني عن الظروف المؤثرة على فكر الإمام السياسي تهيئة للمقصد الأساسي للبحث، ثم يأتي الفصل الأخير في الموضوع الأساسي الذي تنشده هذه الدراسة وهو الجوانب السياسية التي يبرز خلالها فكر الإمام السياسي.

الفصل الأول: الفكر السياسي.

المبحث الأول: التعاريف.

المبحث الثاني: نشأة الفكر السياسي وتطوره.

المبحث الثالث: قضايا الفكر السياسي.

الفصل الثاني: حياة الإمام والأحوال السياسية المؤثرة.

المبحث الأول: ترجمة الإمام محمد بن عبدالله الخليلي.

المبحث الثاني: نظام الإمامة.

المبحث الثالث: الظروف المحيطة ذات التأثير على فكر الإمام.

الفصل الثالث: الجوانب التي يبرز خلالها فكر الإمام السياسي.

المبحث الأول: نظام الحكم عند الإمام وسياسته مع الولاة والعمال.

المبحث الثاني: تعامل الإمام مع الرعية.

المبحث الثالث: تعامله مع العلماء.

المبحث الرابع: التصرف إزاء الفتن والمعارك.

المبحث الخامس: علاقته مع الحكومات الأخرى.

بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل الأول: الفكر السياسي

المبحث الأول: التعاريف

- المطلب الأول: الفكر

لغة:

جاء في العين: (الفِكْرُ: اسم التفكير؟ فَكَّرَ في أمره وتفكر. ورجل فِكِّير: كثير التفكير. والفكرة والفكر واحد)¹

وفي اللسان قال: (فكر: الفَكْرُ والفِكْرُ: إعمال الخاطر في الشيء... الجوهرية²: التفكير التأمل)³

وقال غيره: (ف ك ر - يقال: لا فكر لي في هذا، إذا لم تحتج إليه ولم تبال به، وما دار حوله فكري)⁴

وفي المقاييس: (الفاء والكاف والراء: تردد القلب في الشيء، يقال تفكر إذا ردد قلبه معتبرا)⁵

¹ الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين، تحقيق د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، 358/5، باب الكاف والراء والفاء، مادة فكر.

² "إسماعيل بن حماد الجوهري، أبو نصر (ت 393 هـ / 1003 م) أول من حاول الطيران ومات في سبيله، لغوي من الأئمة، وأشهر كتبه (الصحاح)، أصله من فاراب، ودخل العراق صغيرا وسافر إلى الحجاز فطاف البادية، وعاد إلى خراسان، ثم أقام في نيسابور، وفيها حاول الطيران بجناحين صنعهما من خشب وربطهما بحبل، وصعد سطح داره فتأبط الجناحين ونهض بحما فخانه اختراعه فسقط قتيلًا. " الزركلي، خير الدين، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت-لبنان، ط16، 2005. 313/1

³ ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، لبنان-بيروت، ط1، 2000، 210/11-211، مادة فكر

⁴ الزمخشري، جار الله محمود بن عمر، أساس البلاغة، دار المعرفة، لبنان-بيروت، 346، باب الفاء مادة فكر

⁵ ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، دار إحياء التراث العربي، لبنان-بيروت، ط 1 1422-2001، باب الفاء والكاف وما يثلاثهما.

اصطلاحاً:

ترتيب أمور معلومة للتأدي إلى مجهول.¹

وخلال العصور القديمة المتأخرة والعصور الوسطى تحديداً، كان الفكر يقترح في كثير من الأحيان كمفهوم يمكنه التوفيق بين المفاهيم الفلسفية والعلمية للطبيعة وبين المفاهيم الدينية التوحيدية.²

- المطلب الثاني: السياسة³:

لغة:

قال صاحب العين: (والسياسة: فعل السائس الذي يسوس الدواب سياسةً، يقوم عليها ويروّضها. والوالي يسوس الرعية وأمرهم).⁴

وفي المقاييس: (السين والواو والسين أصلان: أحدهما فساد في شيء، والآخر جبلة وخليقة... وأما الكلمة الأخرى فالسُّوس وهو الطبع. يقال هذا من سوس فلان، أي طبعه. وأما قولهم سُسسته أسُسّه فهو محتمل أن يكون من هذا، كأنه يدلّه على الطبع الكريم ويحمّله عليه).⁵

وجاء في اللسان: (والسُّوس: الرئاسة، يقال ساسوهم سوساً، وإذا رأسوه قيل: سَوَّسوه وأساسوه. وساسَ الأمر سياسة: قام به... والسياسة: القيام على الشيء بما يصلحه).⁶

¹ الجرجاني، علي بن محمد، كتاب التعريفات، دار إحياء التراث العربي، لبنان-بيروت ط1، 1424 - 2003، 138، باب الفاء

² [ويكيبيديا](https://ar.m..wikipedia.org/wiki/سياسة)

³ من الغريب أن بعضهم نفى عن هذه الكلمة أنها عربية، وجعلها من قبيل المستورد من اللغات الأخرى، ولعل ذلك خلط منهم عندما رأوا أن علوم السياسة غربية النشأة يونانية الأصل، فألحقوا بذلك نفس الكلمة، مع أنها موجودة معروفة عند العرب وفي المعاجم العربية.

⁴ الفراهيدي، كتاب العين، 336/7، باب الليف من السين، مادة ساس.

⁵ ابن فارس، مقاييس اللغة، ، باب السين والواو وما يثلاثهما.

⁶ ابن منظور، لسان العرب، 301/7، مادة سوس.

وقال في أساس البلاغة: (س و س - هو يسوس الدواب، وهو من ساستها وسؤاسها. والكرم من سؤسيه: من طبعه. ومن المجاز: الوالي يسوس الرعية ويسوس أمرهم، ويسؤس أمورهم، وسؤس فلان أمر قومه. قال الخطيئة¹:

لقد سؤست أمر بنيك حتى تركتهم أدق من الطحين

وروي سؤست²).

اصطلاحاً:

عند الفقهاء:

تباينت تعريفات الفقهاء لكلمة السياسة، فمنهم من نظر إليها بالمنظور العام، وآخرون عرفوها في بعض تفريعات ما يعرف عندهم بـ "السياسة الشرعية".

"فمنهم من حصرها في الحزم والشدة حتى قال إن السياسة شرع مغلظ وقال غيره: "للسلطان سلوك السياسة وهو الحزم عندنا، ولا تقف السياسة على ما نطق به الشرع" ... ونقل العلامة ابن عابدين³ في حاشية رد المختار عن بعض الفقهاء تعريفاً آخر للسياسة الشرعية هو: "تغليظ جناية لها حكم شرعي حسماً لمادة الفساد"⁴

واستنتج بعض الفقهاء من مجمل التعاريف التي تتكلم عن جزئيات بعينها ما يمكن أن يفهم منها، فقال "وظاهر كلامهم -الفقهاء- أن السياسة: فعل شيء من الحاكم لمصلحة يراها وإن لم يرد بهذا الفعل دليل

¹ "جرول بن أوس بن مالك العبسي (ت نحو 45هـ / نحو 665م) شاعر مخضرم، أدرك الجاهلية والإسلام، كان هجاء عنيفاً لم يكذب يسلم من لسانه أحد، وهجا أمه وأباه ونفسه، وأكثر من هجاء الزبرقان فشكاه إلى عمر بن الخطاب فسجنه عمر بالمدينة، فاستعطفه بأبيات فأخرجه ونهاه عن هجاء الناس. "الزركلي، الأعلام، 118/2

² الزمخشري، أساس البلاغة، 224، كتاب السين مادة س و س.

³ محمد أمين بن عمر بن عبدالعزيز عابدين الدمشقي (1198-1252هـ / 1784-1863م) فقيه الديار الشامية وإمام الحنفية في

عصره، مولده ووفاته في دمشق، له (رد المختار على الدر المختار) يعرف بحاشية ابن عابدين، وغيره. "الزركلي، الأعلام، 42/6

⁴ عطوة، عبدالعال أحمد، المدخل إلى السياسة الشرعية، مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، السعودية، ط2، 1425-2004، 25-28، بتصرف.

جزئي¹ "وقريب منه ما ذكره غيره أن السياسة: "ما كان فعلا يكون معه الناس أقرب إلى الصلاح وأبعد عن الفساد، وإن لم يضعه الرسول ﷺ ولا نزل به وحي"².

وقد جعل بعض الباحثين للسياسة عند العلماء السابقين معنيين، أحدهما عام: وهو تدبير أمور الناس بشرائع الدين. والآخر خاص: وهو النظر الخاص بالحاكم زجرا عن فساد أو علاجا لوضع خاص.³

وحاول بعضهم استخلاص تعريف شامل فجعل السياسة الشرعية (فعل شيء من الحاكم لمصلحة يراها، فيما لم يرد فيه نص خاص، وفي الأمور التي من شأنها ألا تبقى على وجه واحد، بل تتغير وتتبدل تبعا لتغير الظروف والأحوال والأزمنة ولأمكنة والمصالح)⁴

وهذا كله في نقاشهم حول مصطلح (السياسة الشرعية) وهو وإن لم يكن موضوع البحث، إلا أنه متعلق به.

عند علماء السياسة:

بالنسبة لعلماء السياسة، فقد ناقشوا مصطلح السياسة بشكل مختلف عن الفقهاء، ذلك أن علم السياسة إنما أخذ استقلالته عند غير العرب في البداية.

وحتى بعد قيام الدولة الإسلامية واستمرارها لقرون لم يكن المسلمون قد جعلوا بعد لعلم السياسة استقلالاً خاصاً، حيث كان يناقش ضمن الأطروحات الدينية في كلام العلماء والفقهاء، وبالضرورة فإنه يستلهم من مصادر التشريع عندهم، من كتاب وسنة وما يتبعهما من مصادر الرأي، كالاستحسان والمصالح والمرسلة ونحوهما.

¹ عطوة، المدخل إلى السياسة الشرعية، 36

² ابن القيم، محمد بن أبي بكر، الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، دار الكتب العلمية، لبنان-بيروت، 13

³ القرضاوي، د. يوسف، السياسة الشرعية في ضوء نصوص الشريعة ومقاصدها، مكتبة وهبة، مصر-القاهرة، الطبعة الثانية 1426-2005، 32.

⁴ عطوة، المدخل إلى السياسة الشرعية، 44

لذا نجد أن تعريف السياسة يؤخذ عندهم من الثقافات الأخرى، وخاصة اليونانية التي ترجع إليها البداية في منح علم السياسة استقلالاً خاصاً - كما سيأتي إن شاء الله -.

وكما نلاحظ فهم يناقشونها بداية من أصلها اللغوي في العلوم الغربية، وهو *Politique* في اللغة اليونانية القديمة، الذي كان يقصد بها فن إدارة المدينة، وكذلك الدولة ودستورها ونظامها القانوني، وتحديد مركز المواطن وحقوقه فيها. وتستخدم ذات الكلمة في اللغة الفرنسية بمعنى فن حكم المجتمعات الإنسانية. أما علم السياسة *Science Politique* فيتعلق بدراسة ظواهر الدولة والسلطة والحكومة.¹

ونجد التعريفات الأخرى كذلك تكاد تطابق ما سبق، فيذكر أن (السياسة في الاصطلاح الغربي هي فن الحكم، والرجل السياسي هو الذي يمارس أعمال الإدارة المدنية، وهو أيضاً الحاكم الرسمي الموجه الناصح وذكروا لها تعريفاً يكشف عن حقيقتها ومزاياها فقالوا:

"إنها علم الدولة التي تبحث عن التنظيمات البشرية وعن تكوين الأحداث السياسية وعن تنظيم الحكومات، وفي فعالية الحكومة التي لها صلة بتشريع القوانين وتنفيذها وفي علاقتها بالدول الأخرى، وبيان مدى العلاقة القائمة بين الشعب والدولة وارتباطات الدول بعضها مع بعض كما تبحث عن تطور السلطة السياسية بالنسبة إلى حرية الفرد"²

ثم نجد نظرة مختلفة عن تلك تجعل السياسة سلوكاً يمارسه الأفراد لتحقيق غايات معينة، وبهذا المعنى فإن السياسة نشاط بشري يمتاز به الإنسان عن غيره، وإطار هذا النشاط هو المجتمع فهو نشاط اجتماعي. وبخلاف التعريفات السابقة، فالسياسة ليست حكراً على الحكام وإنما تتعدى هؤلاء إلى فئات أخرى من الشعب. ويساق للتأكيد على ذلك عبارة أرسطو³ أن "الإنسان كائن سياسي بطبعه". ويطرح أحد الباحثين فكرة أن كل إنسان يحمل في ذاته ما يسميه بـ(جوهر السياسة) ويشمل حالتين متناقضتين هما:

¹ عبدالله، د. عبد الغني بسيوني، *النظم السياسية أسس التنظيم السياسي*، منشأة المعارف بالإسكندرية، 1991، 7

² القرشي، باقر شريف، *النظام السياسي في الإسلام*، دار التعارف للمطبوعات، لبنان-بيروت، ط3، 1402-1982، 45

³ أرسطوطاليس (384-322 ق.م) ولد في أسطاغيرا وتوفي في خلقيس من بلاد اليونان. فيلسوف يوناني من أكبر الفلاسفة قاطبة، من تلاميذ أفلاطون، أنشأ مدرسة اللوقيون، وكان من عاداته أن يلقي دروسه على تلاميذه وهو يمشي فلقب وهو وأتباعه بالمشائين،

1 الأمر: بمعنى كل إنسان سوي لديه درجة من السيطرة على الآخرين.

2 الطاعة: بمعنى لديه درجة من الاستعداد لطاعة الآخرين.

فالسياسة جوهر في الإنسان، وهي ظاهرة اجتماعية، وكل ظاهرة اجتماعية تأتي تعبيراً عن ذلك الجوهر فهي سياسية أي ظاهرة سياسية. وبما أن الإنسان كائن اجتماعي بطبعه، فهو لا يستطيع تحقيق تكامله واستمراره إلا من خلال الحياة مع أُنْداده، أي العيش في مجتمع كي يعمل جوهر السياسة فيه أو تنبعث منه الظواهر السياسية، ومنها ظاهرة التميز السياسي في السيطرة على الآخرين، والاستعداد في نفس الوقت للطاعة. ومن ثم ينقسم المجتمع إلى حكام ومحكومين، وهي ظاهرة خالدة معبرة عن ذلك الجوهر، ثم تظهر ظاهرة السلطة السياسية وظاهرة المجتمع السياسي، والتي تعني وجود تجمع بشري غريزي، وقيم وارتباط جماعي بإقليم معين وهو مفهوم (الوطن)، ووجود احتكار فعلي للعنف من أجل تحقيق المجتمع الهادئ، ولا يتوقف جوهر السياسة في الإنسان على الإقليم (الوطن) وإنما يتعدى ذلك إلى وجود مجتمعات سياسية أخرى، ينظر إليها على أساس علاقة العدو والصديق بسبب نظرة الريبة التي تنظر من خلالها أفراد كل مجتمع سياسي إلى الآخر خشية من تصدي كل واحد للآخر، فتنشأ علاقات عدوانية، أو تتوافق تلك المجتمعات لتكون علاقاتها علاقات صداقة¹.

ويلخص أحد الباحثين هذا التباين في التعريفات عند العلماء، ويرجعه إلى الثقافة والأفكار السائدة في مجتمعاتهم (فمنهم من نظر إلى علم السياسة على أنه علم الدولة والحكومة، واقتصرت دراساتهم على الجانب الرسمي في علاقات الدولة بالأفراد وغيرهم من المؤسسات في المجتمع. ومنهم من رأى بأن علم السياسة يمتد ليشمل كل ما يتعلق بتنظيم الجماعة والعلاقات بداخلها، والقوى الفاعلة والمؤسسات التي تتكون منها مثل الأسرة والقبيلة والنقابات والأحزاب، وكذلك يشمل علم السياسة حسب رأي هؤلاء متابعة الخلافات والنزاعات داخل المجتمع سواء كانت عرقية أم طبقية أم اقتصادية إلخ..)، ومنهم من اهتم بعملية الممارسة السياسية في نظريته لعلم السياسة، وركز على أهمية النشاطات العامة التي تقوم بها السلطة، ويهتم هؤلاء العلماء بصنع السياسات العامة والقرارات السياسية. ولكن أغلبية العلماء اتجهت لتعريف علم السياسة على أنه العلم

كان تعليمه شاملاً لتاريخ الفلسفة. جملة آثاره تنقسم إلى كتب منطقية (الأورغانون) وكتب طبيعية، وكتب تأتي بعد الطبيعة. "يعقوبي،

محمود، معجم الفلسفة أهم المصطلحات وأشهر الأعلام، دار الكتاب الحديث، القاهرة، ط1، 1429-2008، ص192

¹ الحمداني، د. قحطان أحمد، الأساس في العلوم السياسية، دار مجدلاوي، الأردن-عمان، ط1، 1245-2004، 27

الذي يدرس السلطة في تفاعلاتها المختلفة – في الحاشية: يقول ماكس فيبر بان: السياسة هي الارتفاع إلى درجة الاشتراك بالسلطة وتأثيرها وتوزيعها بين الجماعات-¹

- المطلب الثالث: الفكر السياسي:

يمكن تقديم تعريف مبسط للفكر السياسي بأنه مجموعة من الأفكار والمبادئ والآراء السياسية التي تعاقب المفكرون من الناحية التاريخية في طرحها طبقاً لاحتياجات مجتمعاتهم وظروفهم التي تأثروا بها وعاشوا فيها.²

وفي تعريف آخر: (الفكر السياسي هو ذلك البنيان الفكري المجرد المرتبط بتصوير وتفسير الوجود السياسي، وهو يمثل كل ما يخطر في ذهن الإنسان حول تنظيمه السياسي وحياته العامة كما هي أو كما يجب أن تكون)³

وكما نرى، فالتعريفان متقاربان وإنما اختلفت صياغتهما، ولعل ذلك يعود إلى كون هذا الفرع من فروع علوم السياسة أدق وأضيق نطاقاً، وبديهيها فقد نشأ مستقلاً منذ البداية فكانت الرؤية فيه واضحة، خلافاً للسياسة التي أخذت وقتاً حتى تستقل لتكون علماً قائماً بذاته، بعد أن كانت مباحثها وقضاياها عائمة وسط التنظيرات والرؤى الخاصة، أو مختلطة مع غيرها من العلوم، وبالتحديد أصول الفقه، لذا تباينت التعريفات فيها تبايناً كبيراً كما رأينا.

وأطلق بعضهم تعريفاً آخر للفكر السياسي وهو أنه (أداء وعمل الحكومة أو الدولة، وإدارة الشؤون العامة في المجتمع، وأنشطة الأحزاب والتيارات السياسية، والقرارات والآليات التي تستخدمها الحكومة في إدارة المجتمعات، ويتم من خلالها تحليل الأوضاع السائدة فيها على أساس بعض الأصول والأساليب والاتجاهات المحددة)⁴

¹ بركات، د. نظام محمود، مقدمة في الفكر السياسي، دار عالم الكتب، السعودية-الرياض، طبعة 1405-1985، 11-12.

² وكالة أنباء البحرين <http://bna.bh>

³ بركات، مقدمة في الفكر السياسي، 24

⁴ زنجاني، عباس عميد، الفكر السياسي في الإسلام المبادئ والأطر العامة ، تعريب: ضياء الدين الخزرجي، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، لبنان-بيروت، ط1، 2010، 34

ولعل هذا كان نتيجة خلط بين العلم والمعلوم، فالسياسة نتيجة العمل، أما علم السياسة فهو تحليلها. فلا ينبغي من خلال البحث والتتبع في العلوم السياسية إغفال التمايز بين الأسلوب السياسي والفكر السياسي والفلسفة السياسية. ولهذا ينبغي أن يبنى البحث حول نتيجة العمل وتحليله¹.

ورغم أن الفكر السياسي حصل على استقلالته بالفعل، إلا أن اسمه استخدم في غير محله عنوانا لبعض البحوث، التي هي في حقيقتها تدرس مباحث "السياسة الشرعية" والمسائل الفقهية المتعلقة بنظام الحكم، ولم تطرح مباحث الفكر السياسي، وفي هذا البحث سأحاول إن شاء الله ألا أقع في نفس هذا الخلط.

المبحث الثاني: نشأة الفكر السياسي وتطوره

(تقسم الدراسات في مجال الفكر السياسي إلى نوعين:

1 تاريخ الأفكار السياسية:

وهي دراسة تاريخية تقوم على المتابعة الزمنية للتراث الفكري المرتبط بتفسير ظاهرة السلطة، وتهتم بآراء وتصورات المفكرين والفلاسفة للظواهر السياسية بمختلف أنواعها على مر العصور، والتي تعكس في كثير من الأحيان الظروف والبيئات التي عاشوا فيها، وتكون هذه الدراسة من خلال ربط الأفكار بالأشخاص الذي يمثلونها.

2 النظرية السياسية:

وهي حين تتجه الأفكار السياسية نحو التخلص من عناصر الزمان والمكان، وتسير نحو الإطلاق جامعة بين المنهجية التجريبية والواقع أو الحركة، وتحاول في هذه الحالة وضع بناء تصوري يربط بين مبادئ معينة ونتائج معينة لاكتشاف قواعد التحكم في النشاط، ووضعها في شكل علاقات ارتباطية تفسر العلاقة بين مختلف الظواهر المرتبطة بالسلطة. ويكون التركيز في مثل هذه الدراسة على الأفكار السياسية والمبادئ والقيم العليا في حد ذاتها بغض النظر عن خلافات وجهة نظر الكتابات بشأنها².

¹ زنجاني، الفكر السياسي في الإسلام، 34

² بركات، مقدمة في الفكر السياسي، 25-26

(وقد عرفت جميع الأمم والحضارات القديمة بعض مظاهر التشريعات القانونية والسياسية وبعض القواعد والأفكار السياسية، فقد عرفت الحضارة الصينية القديمة بعض المصلحين من ذوي الأفكار السياسية والأخلاقية مثل كونفوشيوس¹، كما عرف الشرق العربي حمورابي² المشرع المشهور، وعرفت الحضارة الفرعونية شكلاً معيناً من أشكال نظام الحكم، ولكن جميع هذه الأفكار والتشريعات لم ترتق إلى المستوى المنهجي للمعرفة العلمية وبقيت ترتبط بالأساطير وغيرها. إلى أن جاءت الحضارة اليونانية وبدأت الأفكار السياسية في تصوير طبيعة العلاقات الإنسانية في دولة المدنية، وركزت على الأسس الأخلاقية للحكم فاهتمت بالقيم السياسية كالعدالة والحرية، ونوعية الحكم والمشاركة الشعبية. لذلك تعد الحضارة اليونانية القديمة أول من قدم الفكر السياسي بصورة علمية مستقلة. وفي حضارة العصور الوسطى سواء الإسلامية منها أو المسيحية ظهرت الأفكار السياسية لتعبر عن الصراع القائم بين السلطة الزمنية أي الحكام الدينيين والسلطة الدينية، وركزت الحضارة الإسلامية بالذات على مواصفات الحاكم والشروط الواجب توافرها فيه. وفي العصور الحديثة تركزت الأفكار السياسية حول الشكل الأمثل لنظام الحكم، وظهرت النظريات الملكية والديمقراطية لتبرير شكل السلطة وتصرفاتها. وفي الوقت المعاصر امتدت الأفكار السياسية لتشمل نواحي الحياة الأخرى الاجتماعية والاقتصادية نتيجة التوسعات الضخمة التي شهدتها وظيفة الدولة الحديثة، وظهرت الأيديولوجيات المختلفة لتبرير وظيفة الدولة.³)

¹ "كونفوشيوس (نحو 551 - 480 ق.م) وهي الصيغة اللاتينية لاسم الفيلسوف الصيني كونغ فوتسو الذي يعني (الملك الفيلسوف). قيل إنه كان أشد الأولاد دمامة في الصين، وقيل أيضاً إنه كان منذ صغره شديد الذكاء. التحق بخدمة الحكومة في شبابه، ومع تقدمه في السن راح يحس بالرغبة في تحسين نوع الحياة بين إخوان البشر، إلا أنه لم يفكر أن ذلك شأن حكومة كريمة، بل على هؤلاء أنفسهم أن يحسنوا نط حياتهم. أي كان يود تنمية حس أفضل من المسؤولية الاجتماعية. وفي الستين استقال من وظيفته وأنشأ مدرسة يعلم فيها تلاميذه أفكاره، وكان مخططه يتناول الأخلاق والواجبات العائلية والإصلاح الاجتماعي والعلاقات الشخصية، ويقال إنه لم يدون الكثير ولكن أتباعه فعلوا ذلك. ومن الأعمال التي تعزى إلى تعاليمه (المنتخبات الأدبية) وهي سجل لمحاضراته. "شيخاني، سمير، صانعو التاريخ، مؤسسة عز الدين، بيروت-لبنان، 1416-1996، 27/1-28

² "حمورابي (نحو 1730 - 1680 ق.م) كان أعظم ملوك بابل، ولعل أعظم إنجازاته مجموعة قوانينه الشهيرة المعروفة بشريعة حمورابي، وهي الأولى من نوعها في التاريخ القديم. وكانت عبارة عن لائحة قوانين تتعلق بكيفية التصرف، وتغطي مجالا واسعا من السلوك البشري. وكانت شريعته قاسية، ولكنها في تلك الأيام الصعبة الاحتمال أمنت درجة عالية من القانون والأمن والنظام في بلاد مزقتها الصراعات الداخلية مدة طويلة. وقد نقش على عمود من الصخر الأسود باق حتى اليوم، وهو في متحف اللوفر الفرنسي. وبنى حمورابي القوات والمعابد والطرق والمكتبات ووسع مملكته وحفظها سالمة وجعل جيرانه يهابونه. "شيخاني، صانعو التاريخ، 12-13

³ بركات، مقدمة في الفكر السياسي، 26-27

وسأتي بيان بعض التفصيل في هذا المبحث حول الأفكار السياسي بحسب تاريخ الحضارات.

- المطلب الأول: العصور القديمة (الحضارة اليونانية نموذجاً)

ابتدأت الحضارة بمرحلة من الأساطير والكتابات الغامضة، وعرفت تلك المرحلة بالعصر الميثولوجي، ثم بعدها مر الفكر اليوناني بمراحل عدة في طريقة ومنهج التفكير وقضايا البحث، حتى ظهور سقراط¹ الذي حاول تحديد المعرفة وحاول وضع منهج لتفكيره، وتطور الفكر فيما بعد لتظهر الفلسفات السياسية، وبرز في ذلك أفلاطون² وأرسطو.³

إن أي فكر إنساني بما في ذلك الفكر السياسي هو نتاج طبيعي لبيئته، فبيئة المفكر (زمانا ومكانا وثقافة) لها تأثير حتمي على فكره، لذلك لا بد لنا قبل التطرق إلى دراسة الفكر اليوناني أن نعرف بإيجاز البيئة التي أفرزت ذلك الفكر.⁴

أفلاطون⁵:

اتبع أفلاطون منهجا فلسفيا واتجاها عقليا في تفكيره السياسي، ويعتد رائد المنهج الفلسفي المثالي، ويمثل فكره نموذجا لمنهج فلسفي مثالي يبدأ عملية المعرفة من مقدمات ميتافيزيقية¹، ثم يدخل عليها سلسلة من عمليات الاستنباط مستهدفا الكشف عما ينبغي أن يكون عليه المجتمع حتى يكون مثاليا.

¹ سقراط (400-470 ق.م) فيلسوف يوناني اتهمه مجتمعه بالمروق عن دين الدولة وبإفساده الشباب بالمناقشات التي كان يجريها معهم، وحكم عليه بتجرع السم ففعل. لم يكتب شيئا وإنما وردت أقواله على لسان أفلاطون وإكزينوفان وأرسطو. وقد اشتهر بطريقته في المناقشة، وهي تعتمد السخرية التي تخلص من الأخطاء، والتوليد الذي يظهر الصواب. "يعقوبي، معجم الفلسفة، 214

² أفلاطون (429-347 ق.م) فيلسوف يوناني من أكبر الفلاسفة قاطبة. وضع نسقا فلسفيا كاملا ذا نزعة روحانية مثالية، تناول فيه مشاكل الوجود والمعرفة في صورة محاورات بينه وبين تلاميذه وعددها 22 محاورا، اثنتان منها هما (الجمهورية) و(النوميس) اللتان تعد كل واحدة منهما كتابا كاملا. لا يزال لبعض آرائه نفوذ على طائفة من المتفلسفين. "يعقوبي، معجم الفلسفة، 193

³ بركات، مقدمة في الفكر السياسي، 31-32

⁴ جامعة ابن زهر <http://www.fsjes-agadir.info>

⁵ المعلومات المذكورة هنا مستقاة من: بركات، مقدمة في الفكر السياسي، 38-49. انظر أيضا: منتدى كلية الحقوق أكادير <http://www.fsjes-agadir.info>، منتدى الطلبة الجزائريين <http://30dz.justgoo.com>

نشأة الدولة عند أفلاطون:

يرى أن العدالة يفرضها الأقوياء، وظهور العدالة مرتبط بنشأة الدولة، فظهور الدولة ضرورة ناتجة عن تباين حاجات الناس ورغباتهم وعجز الفرد عن سد حاجاته بنفسه، وبناء على ذلك فقد قسم الناس إلى ثلاثة طبقات لكل منها وظيفتها الخاصة:

1 - طبقة الحكام والفلاسفة: وإليهم توكل مهمة إدارة الحكم.

2 - طبقة المحاربين: ومهمتهم الدفاع عن الدولة وحمايتها.

3 - طبقة الحرفيين: وعليهم القيام بعملية الإنتاج.

وظيفة الدولة:

من خلال تأملات أفلاطون الفلسفية حول النفس البشرية وتقسيم العمل، وانطلاقاً من إيمانه بالأصل المشترك لكل من الدولة والفرد، توصل إلى تحديد ثلاث وظائف هامة للدولة:

1 - حكم الدولة.

2 - حماية الدولة.

3 - إشباع الحاجات وتبادل الخدمات.

فكره السياسي:

قدم أفلاطون ثلاث محاورات (حيث كان يعتمد في تأليفه على طريقة الحوار) في مجال الفكر السياسي، وهي:

- محاورة الجمهورية: وفيه أسس مدينته الفاضلة ارتباطاً بنظريتين:

1 - الفضيلة هي المعرفة.

2 - تقسيم العمل هو أنسب السبل لنجاح الحياة الاجتماعية.

¹"ميتافيزياء أو ميتافيزيقيا: كلمة يونانية مركبة من (ميتا) بمعنى ما بعد، ومن (فيزياء) بمعنى الطبيعة". يعقوبي، معجم الفلسفة، 156

وصب فيها أول تأملاته الفلسفية حول فكرة الجمهورية الفاضلة Utopia وتوصل في نظريته المثالية فيه إلى ضرورة إخضاع كل شيء في الدولة لشخص الحاكم الفيلسوف.

وبذلك يكون تصوره للمدينة الفاضلة إنكارا للإيمان بدولة المدينة التي تستند على حرية المواطنين ومشاركتهم في الحياة السياسية.

غير أنه رجع عن نظريته هذه في آخر حياته بعد فشل تطبيقها، ووضع كتاب "محاورة السياسي" ثم "محاورة القوانين" للإتيان بنظرية أخرى

خصائص الفكر السياسي اليوناني:

- 1 - اعتمد على نظرية المعرفة والفضيلة و الأخلاقية في الحضارة اليونانية.
- 2 - غاية هذا الفكر الوحيدة هي بناء المدينة الفاضلة التي تحقق السعادة للمواطنين.
- 3- مال الفكر اليوناني في معظم الأحيان إلى الخيال وقيم عالم الروح والابتعاد عن الواقع ودار حول ما يجب أن يكون لا ما هو كائن وبالتالي كان بعيدا عن الواقع.

- المطلب الثاني: العصور الوسطى (الحضارة الإسلامية نموذجاً)

رسم الإسلام شكل السلطة والمجتمع بصورة متكاملة —من ناحية الأصول والمبادئ العامة— محققا الصلاح للمجتمع والفرد في نفس الوقت، واتسم بمسحة شمولية تغطي جوانب الحياة المختلفة الاجتماعية الاقتصادية والسياسية لا لمجتمع معين ولكن لمجتمعات الإنسانية كافة. وبعد توسع الدولة الإسلامية وتعايقها مع الحضارات الأخرى وتطور المجتمع الإسلامي وحدوده، ظهرت الحاجة الملحة لوجود مفكرين وفقهاء مسلمين لمعالجة الأوضاع المستجدة، ووضع تأصيلات فكرية متطورة. وإلى جانب هؤلاء ظهرت مجموعة من الفلاسفة المسلمين الذين درسوا الفلسفة اليونانية وتأثروا بها، وقدموا نظريات فلسفية متكاملة للسلطة والدولة المثالية، ومنهم

الفارابي¹ وابن رشد² وإخوان الصفا³ وابن خلدون⁴، إضافة إليهم مجموعة من الأدباء والكتاب الذين تعرضوا لظاهرة السلطة في كتاباتهم الأدبية كابن المقفع⁵ في "كلیلة ودمنة" والجاحظ¹ وابن عبد ربه²، وغيرهم.³

¹ "أبو نصر محمد بن محمد بن أوزلغ الفارابي (259-339 هـ / 872-950 م) ولد بفاراب في ما وراء النهر، ورحل إلى بغداد حيث تعلم، ثم أقام بجلب عند سيف الدولة الحمداني، وتوفي بدمشق. كان عارفاً باليونانية وبأغلب اللغات الشرقية المتداولة في عصره، لقب بالمعلم الثاني، وكان شديد الإيمان زاهداً في الدنيا مقتنعاً باتفاق الوحي والعقل. أهم آثاره شروح لأهم كتب أرسطو في المنطق والطبيعة والأخلاق، وكتب وضعها أهمها (الجمع بين رأي الحكيمين أفلاطون وأرسطوطاليس) و(آراء أهل المدينة الفاضلة). يعقوبي، معجم الفلسفة، 221

² "أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد (520-595 هـ / 1126-1198 م) ولد بقرطبة وتوفي بمراكش ثم نقل رفاته إلى قرطبة. يلقب بالشارح لبراعته في شرح آراء أرسطو وقدرته على النفاذ إليها من خلال ما وصله من ترجمتها السيئة. نشأ في بيت فقه وقضاء واهتم بالفلسفة والطب والرياضيات. من كتبه (تحافت التهافت) رداً على الغزالي، و(بداية المجتهد) في الفقه. يعقوبي، معجم الفلسفة، 210

³ "إخوان الصفا: جماعة سرية ظهرت في البصرة في النصف الثاني من القرن العاشر، واجتمعت على الإخلاص والنصح والطهر من الدنس. وضعت لنفسها مذهباً أرادت أن تظهر به الشريعة بوساطة الفلسفة من الجهادات التي علقت بها، معتقدة أن الكمال يتألف من امتزاج الفلسفة اليونانية بالشريعة الإسلامية. وقد ألفوا إحدى وخمسين رسالة - إضافة إليها الرسالة الجامعة - وتميزت تعاليمهم بطابعها التجميعي، ففي المنطق وعلم الطبيعة أخذوا عن أرسطو، وفي الطب عن جالينوس، وفي المسائل الفلسفية اقتفوا أثر الأفلاطونية والفيثاغورية الجديدين. وهم من أنصار توحيد جميع الأديان والمذاهب الفلسفية، والمبدأ الأساسي عندهم هو العقل، ولذا فهم يعدون ظاهر الشريعة صالحاً للعامة دون الخاصة، أما هؤلاء الخاصة فنصيبهم النظر الفلسفي العقلي العميق." عباس، فيصل، موسوعة الفلاسفة، دار الفكر العربي، لبنان-بيروت، ط1، 1996، ص54-55

⁴ "أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن خلدون. (732-808 هـ / 1332-1406 م) ولد بتونس وتوفي بالقاهرة. أعطى الفكر الإسلامي بآرائه في فلسفة التاريخ والاجتماع بعداً جديداً يتميز بالنقد التاريخي والروح الوضعية والنزعة الاجتماعية. واشتهر ب(المقدمة) التي وضعها لمصنفه في التاريخ (كتاب العبر) ضمنها الخصال التي ينبغي أن يتحلّى بها المؤرخ والمعارف التي يجب أن يلم بها والطريقة التي عليه أن يسلكها لفهم مظاهر العمران البشري بتعليل بعضها ببعض. وأهم تصانيفه ذات الطابع الفلسفي (المقدمة) و(رسالة في المنطق). يعقوبي، معجم الفلسفة، 207

⁵ "عبد الله بن المقفع (724-759) مصمم النثر الفني ورائد الإنشاء، إمام من أئمة الفكر، ضم عقله مختلف الثقافات واستخلص منها زبدة العصور في الفلسفة والسياسة والاجتماع. جعله الجاحظ مقدماً في بلاغة اللسان والقلم والترجمة واختراع المعاني وابتداع السير، وقال الأصمعي: (ابن المقفع نبيل شريف النفس حقيق بالتفات الناس إليه). كان اسمه روزبه بن دائرزيه، ولد بقرية حوار بفارس، ولما أسلم تحول اسمه إلى عبدالله. نشأ في البصرة متصلاً بالولاء بآل الأهم، وكانوا ذوي فصاحة فثقفها عنهم. عني أبوه بتأديبه وتربيته في صناعة الكتابة. من أهم مؤلفاته (كلیلة ودمنة) عربه عن الفهلوية زمن الخليفة المنصور، و(رسالة الصحابة) و(الأدب الصغير) و(الأدب الكبير). شيخاني، صانعو التاريخ، 154-158

بعض خصائص الحياة السياسية في المجتمع الإسلامي - حتى انقضاء عصور الخلفاء الراشدين -:

- 1 - دمج النظام السياسي الإسلامي بين الدين والسياسة على أساس أن الإسلام دين ودولة.
- 2 - لم يعرف المجتمع السياسي الإسلامي ذلك التنوع في الطبقات الاجتماعية التي عرفت الحضارات الأخرى، القائمة على أسس اقتصادية كالطبقة الوسطى أو البرجوازية، وإنما كان تقسيم المجتمع يقوم غالبا على وجود طبقتين حاكمة ومحكومة.⁴

الفكر السياسي الإسلامي:

لم يحظ الفكر السياسي الإسلامي - بمعنى عملية التجريد الفكري لظاهرة السلطة - بالقدر الكافي من الدراسة والبحث، ولم تثمر جهود المفكرين المسلمين عن بناء فكري متكامل للنظرية السياسية. ولعل ذلك يعود إلى أسباب، منها أن الإسلام دين ودولة ولم يسمح بوجود أفكار مضادة كالتى ظهرت في النصرانية، وقد خلط المفكرون المسلمون بين الفكر السياسي والتأملات الدينية، والقليلون الذين ميزوا بين الجانب الديني والدولة السياسية اتبعوا منهجا سياسيا ولم يصلوا إلى مرتبة النظرية السياسية بالمعنى العلمي، إضافة إلى ذلك أن مدة التطبيق السليم للإسلام هي الخلافة الأولى فقط، وكانت مرحلة انتقالية قائمة على التوسع ونشر الإسلام، ولم تسنح الفرصة خلالها لظهور مفكرين ومنظرين للفكر الإسلامي. ومع ذلك فقد قدم بعض المفكرين كتباً تحتوي دراسات في هذا المجال، غير أنها تعرضت للضياع والإهمال، نذكر منها:

¹ "عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان الشهير بالجاحظ (163-255هـ / 780-869م) كبير أئمة الأدب، ورئيس الفرقة الجاحظية من المعتزلة. مولده ووفاته بالبصرة، فلج في آخر عمره، وكان مشوه الخلقة، ومات والكتاب على صدره، قتلت مجلدات من الكتب وقعت عليه. له تصانيف كثيرة منها (الحيوان) و(البيان والتبيين) و(التاج) ويسمى أخلاق الملوك." الزركلي، الأعلام، 74/5

² "أحمد بن محمد بن عبد ربه (246-328هـ / 860-940م) الأديب الإمام صاحب العقد الفريد، من أهل قرطبة. كان شاعرا مذكورا فغلب عليه الاشتغال في أخبار الأدب وجمعها، له شعر كثير من ما سماه (الممخّصات) وهي قصائد ومقاطع في المواعظ والزهد، نقض بها كل ما قاله في صباه من الغزل والنسيب، وكانت له في عصره شهرة ذائعة، وهو أحد الذين أثروا بأدبهم بعد الفقر. أما كتابه (العقد الفريد) فمن أشهر كتب الأدب. سماه (العقد) وأضاف النساخ المتأخرون لفظ (الفريد)." الزركلي، الأعلام، 207/1

³ بركات، مقدمة في الفكر السياسي، 87-88

⁴ بركات، مقدمة في الفكر السياسي، 91

- آداب الملوك للثعالبي. - علم السياسة للرازي
- السياسة لابن سينا. - تقويم السياسة الملوكية للفارابي
- قانون الوزارة للماوردي. - السياسة لأبي جعفر بن قدامى

وغيرها..¹

ابن خلدون²:

لجأ ابن خلدون إلى الأسلوب العلمي في أبحاثه، ورفض التفسير التجريدي للظواهر الاجتماعية، وهو يعد قمة من قمم الفكر الإسلامي، فهو أول من استطاع أن يستخلص السياسة من الاعتبارات الدينية، كما أنه أول من أدخل مبدأ العلمية الطبيعية في دراسة الظواهر التاريخية والسياسية والاجتماعية، وحاول استخلاص القوانين الطبيعية التي تحكم قيام الدولة وزوالها، وحاول وضع الدولة في إطارها الحضاري منطلقاً من المدن الواقعية التي عرفها وعاش فيها لا من المدن الطوباوية، ومن الأحداث التي سايرها وعرفها لا من الخيال.

نظرتة للمجتمع ونشوء الدولة:

يرى أن الاجتماع الإنساني ضروري، متفقاً بذلك مع المقولة الأرسطية "الإنسان مدني بطبعه"، غير أنه تميز عن سابقه بأن رأى أن هذا التعاون لا يكون إلا بالإكراه الذي يأتي من الدولة لمعرفتها بالصالح العام، إذ طبيعة الإنسان الفردية والأنانية والميل للعدوان في نفسه أحوجته إلى وجود سلطة تنظم المجتمع.³

ولم يفته أبداً التركيز على الأخلاق، بل ربط بينها وبين السياسة، فالأخلاق تكسب الدولة القوة، وزوالها سبب للضعف والانهيار.

¹ بركات، مقدمة في الفكر السياسي، 92

² المعلومات المذكورة هنا مستقاة من: بركات، مقدمة في الفكر السياسي، 113-127. مدني، حروفش، الفكر السياسي عند ابن خلدون، مقال منشور على مدونة علوم الاتصال والإعلام [/http://infocom-itfc.blogspot.com](http://infocom-itfc.blogspot.com)

³ ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، تحقيق حامد أحمد الطاهر، دار الفجر للتراث، مصر-القاهرة، ط 1، 1425-2004، 65-67

وتقوم الدولة في رأيه على أربع ركائز أساسية:

- 1 - العصبية.
- 2 - الفضيلة والرغبة في تحقيق الخير.
- 3 - دعوة دينية أو مبدأ سياسي.
- 4 - ضعف دولة سابقة.

ورجع زوال الدولة لسببين:

- 1 - ضعف العصبية.
- 2 - الخراب المادي والتراجع الحضاري.

وأهم ما يميز نظرة ابن خلدون لنظام الحكم ذلك الربط بين السلطة وفكرته عن العصبية، والعصبية في معناها العام تعني "النعة" وهي مرادفة لكلمة التعصب التي مؤداها أن يناصر الأخ أخاه، لكنها عند ابن خلدون تأخذ معنى آخر، فهي: (تلك العلاقة التي تحدد على أساس النسب والأصل، بحيث تخلق نوعاً من التضامن العائلي الذي يوجد مجموعة من الحقوق ويفرض طائفة معينة من الالتزامات) ويتوسع فيما بعد في نظريته للعصبية فلا يجعلها مقتصرة على رابط الدم والنسب، بل يصبح مصدرها الحلف أو الولاء أو العصبية لفكرة معينة لا لنسب، وانطلاقاً من هذا التعريف للعصبية يرى بأن المجتمع السياسي عبارة عن تفاعل بين العصبية المختلفة بما يسعى لتحقيق الصالح العام، وهو يقوم على قوة الإجماع والإلزام من العصبية المنتصرة.

- المطلب الثالث: العصور الحديثة:

تبدأ هذه المدة منذ القرن السادس عشر الميلادي حيث بداية عصر النهضة في أوروبا وبداية تضاؤل نفوذ الكنيسة نتيجة الصراعات الدينية، وبداية ظهور القوميات والحركات التحررية. وأهم التحولات التي أصابت المجتمع الأوروبي وكانت نقطة الانطلاق للفكر السياسي:

1 - القضاء على فكرة ازدواج السلطة، والاعتراف بسلطة الدولة السياسية على الجميع بمن فيهم الكنيسة.

2 - ظهور الدول القومية وضمحلل النظام السياسي الإقطاعي.

3 - ظهور الحركات التحررية وبلورة مبدأ السيادة.

4 - التقدم التكنولوجي والاهتمام بالبحث العلمي.

وكان للحروب الصليبية وما تبعها من اتصال بالحضارة العربية والإسلامية دور في الاطلاع على ما توصلت إليه هذه الحضارة من تقدم في المجالات العلمية والبحثية، وزاد في ذلك اتصال الغرب بالحضارة الشرقية في اليونان التي قامت على حرية التفكير، وذلك بعد أن فتح العثمانيون القسطنطينية وما رافقه من هجرة الفلاسفة ورجال الدين النصراني إلى الغرب مع ما يحملونه من أفكار وعلوم. وهو ما أعطى الحياة العلمية دفعة جديدة، فظهرت طبقة من العلماء والمفكرين كان لأبحاثهم ونظرياتهم أثر واضح في تطور الفكر السياسي حتى عصرنا الحاضر.¹

المبحث الثالث: قضايا الفكر السياسي.

من خلال المبحث السابق، وتتبع بحوث مختلف المفكرين في مختلف الحضارات والدول، يمكن تحديد القضايا التي بحثوها في مجال الفكر السياسي في عدة نقاط:

1 - نشأة الدولة:

وهو مبحث ناقش فيه المفكرون الأسباب المؤدية لنشوء الدولة وتكوينها، والرابطة الأساسية المؤثرة في ذلك، وقد مررنا في البحث على أمثلة منها، كنظرية تباين حاجات الناس، ونظرية العصبية.

ويناقش في هذا المبحث أيضا مختلف الأحوال التي تمر بها الدولة قوة وضعفا، وتغير ظروفها والظروف المحيطة بها مما قد يستحسن معه اتخاذ بعض الإجراءات لمناسبة المتغيرات.

2 - نظام الحكم:

¹بركات، مقدمة في الفكر السياسي، 131-133

وفيه يناقش المفكرون أنواع الحكومات وتشكيلاتها، وإيجابياتها وسلبياتها، ويقررون الحكومة الأفضل لحكم الدولة.

3 - الطبقات الاجتماعية:

هنا تطرح قضية تباين الناس فيما بينهم، وإن كانوا متساويين أم متفاوتين في الطبائع، وكذلك في الحقوق المستحقة لهم من قبل الدولة.

4 - وظائف الدولة:

وبتعبير آخر: أهداف الدولة. وهي ما يجب أن تسعى الدولة لتحقيقه والوصول إليه لأجل نيل المثالية، أو لأجل تحقيق الاستقرار والحفاظ على كينونتها.

5 - القانون:

أهمية وضع القوانين من عدمها، وفائدتها للدولة والمجتمع، وكذا تقسيماتها وكيفية التعامل معها.

6 - العلاقة بين الحاكم والمحكوم:

يناقش فيها فكرة ولاء المحكوم لحاكمه، وطبيعة هذا الولاء ولوازمه والحقوق المترتبة عليه، وكذا تعامل الحاكم مع رعاياه وما يلزمه تجاههم.

7 - صفات الحاكم:

ما الذي ينبغي أن يجمعه رئيس الدولة من صفات وخصال تميزه عن غيره حتى يكون مؤهلاً لرئاسة الدولة وقيادتها.

الفصل الثاني: حياة الإمام والأحوال المؤثرة على فكره السياسي

المبحث الأول: ترجمة الإمام محمد بن عبدالله الخليلي:

- المطلب الأول: نسبه:

هو العلامة محمد بن عبدالله ابن العلامة المحقق سعيد¹ بن خلفان بن أحمد بن صالح بن أحمد بن عامر بن ناصر بن عامر بن بو سالم بن أحمد، من نسل الإمام الخليل بن عبدالله بن عمر بن محمد بن الإمام الخليل ابن العلامة شاذان ابن الإمام الصلت بن مالك بن بلعرب الخروصي، نسبة إلى خروص بن شاري بن اليعمد بن عبدالله.²

- المطلب الثاني: حياته وتكوينه العلمي:

ولد الإمام الخليلي بسماثل عام 1299 هـ، ونشأ في حجر أبيه الشيخ عبدالله بن سعيد³.

والظاهر من رسالة وجهها الإمام لأهل محرم أنه وُلد ببلدة محرم، ومنزله مشهور بها حتى الآن، وقد جاء في رسالته هذا البيت:

وأول أرض مس جلدي ترابها

بلادٌ بها أهلي وحل تئامي

¹ "سعيد بن خلفان بن أحمد الخليلي (1236-1287هـ) ولد ببوشر، ونشأ في حجر جده أحمد بن صالح إذ توفي أبوه عنه صغيراً. كثير الخلوة والتبذل والتلاوة، وله في السلوك مناقب تدل على طول بابه. كان يتمتع بسلطة دينية عالية، يصدر الأوامر للإمام عزان فيلزمه اتباعها. كانت وفاته على يد السلطان تركي بن سعيد، دفنه وابنه محمد حيين، وعمره يوم وفاته إحدى وخمسون سنة. له أجوبة مسائل نظماً، وله ألفية في الصرف سماها "المقاليد" شرحها شرحاً جيداً، وله كتاب "كرسي الأصول" إلى غير ذلك." الشيبه، محمد بن عبدالله السالمي، نهضة الأعيان بحرية أهل عمان، دار الجيل، لبنان-بيروت، ط1، 1419-، 295، 291-296

² الشيبه، النهضة، 287-290

³ "عبدالله بن سعيد بن خلفان الخليلي (نحو 1278-1332) كان عالماً جليلاً كثير الاطلاع على فنون العلم كثير قيام الليل، وهو الأمير والسيد في وادي سماثل، يجر الجيوش بعمان لقهر من خاصمه، واحتل كثيراً من بلدان من نازعه. كان عالماً بفنون العلم أديباً، وله ديوان ضخيم في الحماسة والفخر والغزل والنسيب. حصل خلاف بينه وبين الإمام سالم الخروصي بسبب دخول هذا الأخير حصن سماثل قبل الأجل الذي طلب منهم انتظاره، فخرج من عنده إلى السلطان فيصل بن تركي، وتوفي هناك إثر رمية غير متعمدة أصابته في بلدان الحواسنة بالباطنة." الشيبه، النهضة، 296-297

ولأن جماعة بني رواحة نقلوا عمه أحمد¹ ووالده عبدالله ابني سعيد بن خلفان الخليليين إلى وادي محرم بعد الحوادث التي تلت موت والدهما خوفا عليهما.²

درس فنون العلم على عمه الشيخ العلامة أحمد بن سعيد، وأبيه الشيخ عبدالله بن سعيد آل خليل، ثم هاجر إلى الشرقية، فقرأ على النور السالمي³ التفسير والحديث والأصول وفنون العلم، فصار علما من الأعلام وحجة في المعقول والمنقول والمنثور والمنظوم.⁴

وكانت له صلوات مختلفة أثرت في تكوينه العلمي واعتلاء منصة المجد، سواء منها على المستوى الداخلي أو الخارجي، وبالتأمل فيما أثر بينه وبين قطب الأئمة⁵ -رحمهما الله تعالى- نلاحظ ذلك بصورة مثلى مع عدم

¹ "أحمد بن سعيد بن خلفان الخليلي (نحو 1275-1324) عاش علامة فقيها ورعا، عليه مدار الفتيا والقضاء بوادي سمائل، وله أجوبة مسائل نثرا ونظما، كان شهما جريئا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر في وقت الكتمان ولا يرد أمره. ابتلي بالصرع، خرج ليغتسل أو يتوضأ من نهر السمدي بسمائل، فهاجمه الصرع فغرق به." الشيبة، النهضة، 296

² الشكيلي، إبراهيم بن محمد، مدرسة الإمام محمد بن عبدالله الخليلي وأثرها في نشر العلم، حقوق الطبع والنشر محفوظة للمؤلف، ط1، 1434-2013، ص31

³ "عبدالله بن حميد بن سلوم السالمي (1286-1332هـ) ولد ببلدة الحوقين من أعمال الرستاق، من أسرة كريمة غير مشهورة، وكانت مشيخة قومه بين أسرته وأسرته عمومته. كف بصره وهو ابن اثنتي عشرة سنة، ورزق بدلا عن ذلك حافظة قوية، فلا يكاد يسمع شيئا إلا حفظه، بل كان حفظه قبل أن يكف بصره. أخذ مبادئ العلوم وحفظ القرآن على يد والده حميد بن سلوم، ثم درس على مجموعة من العلماء منهم الشيخ راشد بن سيف اللمكي، والشيخ ماجد بن خميس العبري، والشيخ صالح بن علي الحارثي. له العديد من المؤلفات في مختلف الفنون، منها "بهمجة الأنوار" "جوهر النظام" "تحفة الأعيان" وغيرها كثير. انظر: شريف، مصطفى بن محمد، الشيخ نور الدين السالمي مجدد أمة ومحبي إمامة جمعية التراث، الجزائر-غرداية، ط1، 1432-2011.

⁴ الشيبة، النهضة، 288

⁵ "أحمد بن يوسف بن عيسى أطفيش (1236-1332) ولد في بني يزقن غرداية الجزائر، وانتقل مع العائلة إلى مدينة غرداية. حفظ القرآن ولم يتعد عمره تسع سنوات. له مؤلفات كثيرة جدا أوصلها بعضهم للمائة وآخرون إلى ثلاثمائة، منها (تيسير التفسير) في تفسير القرآن الكريم، (جامع الشمل في حديث خاتم الرسل)، (شامل الأصل والفرع) في الفقه، وغيرها.. أغوشت، بكير بن سعيد، قطب الأئمة العلامة محمد بن يوسف أطفيش، مكتبة الضامري، عمان-السيب، ص62-119، 63

إغفال تقدم المراسلات بينهما من حيث المدة الزمنية حيث مطلع تكوين الإمام العلمي، مما أهله ليكون مرجع أهل عصره على الصعيدين العلمي والسياسي.¹

كان قبل ارتقائه عرش الإمامة في رغد من العيش وتألّق من اللباس، فلما ولي الأمر رغب عن ذلك مع كثرة غناه، فكان يطوي الأيام والليالي وينطر على التمر والعوال، كثير صيام التطوع حتى ابتلي بنقصان في بصره. كانت له ثروة خاصة عدا بيت المال، وهي مما ورثه عن آبائه، فباع أصولها وأنفق ثمنها في سبيل الله، ولم يعقب ولدا ولا مالا.²

- المطلب الثالث: توليه الإمامة

عقد العلماء والقضاة والرؤساء في اليوم الثاني عشر من ذي القعدة عام 1338 هـ مؤتمرا، فألزموا الشيخ محمد بن عبدالله الخليلي قبول الإمامة، وكلفوه ذلك بعد طول مناظرة لعجزهم عن مناظرته لكونه أعلمهم، وبعد طول احتجاج ما رأى الواسع إلا قبول أمرهم.³

وكان الإمام في البداية ضمن أهل الحل والعقد لم يأت متحضرا لتعقد عليه الإمامة، وكان النظر منهم إلى غيره، ولكن بدا لهم بعد ذلك رأي آخر، فاتجهت أنظارهم إلى الإمام الخليلي، فرفض في بادئ الأمر ودارت بينهم

¹ الخليلي، الإمام محمد بن عبدالله، الفتح الجليل من أجوبة أبي خليل، جمع وترتيب: سالم بن حمد الحارثي، ضبط النص: أحمد بن سالم الخروصي، ذاكرة عمان، عمان-مسقط، ط1، 1437-2016، ص6

² الشيبة، النهضة، 289-290

³ الشيبة، النهضة، 287

مناقشة ومحاجة، حتى قالوا له "إنك قد علمت ما كان من أمر الإمام السلمي حين أبي الإمام سالم¹ قبول البيعة²، وأنت أعلمنا فانظر بنفسك"، فأذعن لهم بعد ذلك وقبل البيعة.³

فأصبح الناس بجامع نزوى غرة الثالث عشر من ذي القعدة والجمعة عام 1338 هـ وأجمعوا على مبايعته إذ كان أفضل الموجودين يومها وأعلمهم، وقد جمع الشروط الشرعية المطلوبة للقائم بها، ولم يأخذوا عليه تعهدا ولا شروطا كما كانت تؤخذ من الإمام الضعيف، إذ كان يحظى بالثقة المطلقة قبل انتخابه، مأمون الجانب على تقاليد الإمامة، وكان أعلم الجماعة الذين معه، بل أعلم من العقادين عليه.⁴

ووصفه المؤرخ بشركة الزيت في كتابه المسمى "عمان" (يستند الإمام في حكمه على الأكثر على هيبة منصبه الديني، ولا يعتمد على جيشه الكبير).⁵

وفي رحلة أحد المستشرقين الإنجليز لعمان، أن البدو يعترفون بالإمام سيديا لهم، وكثيرا ما تسمع بينهم عبارة (أطال الله عمر الإمام)، وهم يعنونها بإخلاص كلما قالوها. وذلك لأنه نشر العدل والأمن بين ظهرائهم بما وفق إليه من حل مسائلهم وفض الخلافات فيما بينهم. فهنا يستطيع الرجل أن يسير غير مسلح، وأن يترك إبله بغير حراسة، دون أن يخشى من يعتدي عليها بالنيب.⁶

¹ "سالم بن راشد بن سليمان الخروصي (1301-1338هـ) ولد ببلدة مشايق من قرى الباطنة، ونشأ في حجر والده وعليه قرأ القرآن ومبادئ العلوم، ثم خرج إلى بلد العواي لتلقي العلوم، ثم هاجر إلى الشرقية لطلب العلم فقرأ على الإمام السلمي هناك. تولى الإمامة سنة 1331هـ، وكان زاهدا عادلا ورعا حازما. قتل بالخضراء في طريقه إلى وهيبة، وكانت إمامته سبع سنين وأربعة أشهر. الشيبه، الرهضة، 149-151، 235.

² لما اختار المجتمعون الإمام سالم بن راشد الخروصي لتنصيبه، أبي أول الأمر، فقال له الإمام السلمي "إن أبيت قتلناك، إذ بامتناعك متى وقع عليك اختيار المسلمين - تتفرق الكلمة" فلما أيقن بصدق عزمه، سأل الحاضرين "إن قتلتموني هل أنا عندكم في الولاية؟" فصرخوا "لا" فعقدوا عليه البيعة غصبا والدموع على وجهه. انظر: الشيبه، الرهضة، 124.

³ الراشدي، حمود بن عبدالله، مقابلة شخصية، ليلة الجمعة 30 جمادى الآخرة 1437هـ، 9 إبريل 2016. الراشدي، سام بن بدر، مقابلة شخصية، 10 رجب 1437هـ، 18 إبريل 2016، نقلها عن خاله يحيى بن سفيان الراشدي.

⁴ الشيبه، الرهضة، 301.

⁵ الشيبه، الرهضة، 305.

⁶ الشيبه، الرهضة، 305-306.

- المطلب الرابع: وفاته:

كانت وفاة الإمام في شهر شعبان سنة 1373هـ، إثر الرمد الذي أصابه في عينيه، وتلقيه العلاج منه ليموت بعدها بثلاث سنوات، وخرج الناس والأطفال والكبار والصغار لتشيع الجنازة، وكان كل شخص يحمل إناء ليفوز بشرف الرش على قبره، حتى قيل لو جمعت تلك المياه لسقت مزرعة كاملة. وأمر ملك السعودية في ذلك الوقت أن يصلى عليه صلاة الغائب في الحرمين المكي والمدني، وصلى عليه الإباضية المغاربة في المغرب، وصلى عليه في جميع مساجد زنجبار.¹

دفن بين قبري الإمامين اليعريين ناصر بن مرشد² وسلطان بن سيف³.

المبحث الثاني: نظام الإمامة

لا بد لنا أن نعرف شيئا أساسا في هذا البحث، وهو الخلفية السياسية للإمام في مذهبه الديني، إذ يفصل بين نشوء المذهب الإباضي وتولي الإمام منصبه نحو ثلاثة عشر قرنا، كانت كفيلا بما تحمله من أحداث ووقائع، وبمن عاش فيها من علماء ومفكرين ومناضلين، أن تنتج إرثا.. بل ثروة سياسية لا يمكن أن يغفلها الإمام وهو من هو في درجته العلمية والاجتماعية من قبل توليه الإمامة، وبالتأكيد فسينعكس أثر ذلك التراث على فكر الإمام ونظريته.

¹ الشيبه، النهضة، 390. الشكيلي، مدرسة الإمام محمد بن عبد الله، 36-38

² "ناصر بن مرشد بن مالك اليعربي (ت 1050هـ) من أهل الرستاق، تولى الإمامة عام 1034هـ، وحد عمان بعد أن كانت متفرقة بين الأمراء، ثم سعى إلى طرد البرتغاليين وسيطر على كثير من المناطق العمانية والحصون الخاضعة لهم. كانت مدة إمامته ستا وعشرين سنة، ودفن في نزوى، وقبره مشهور معروف." الأزكوي، سرحان بن سعيد، كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة، تحقيق د.حسن محمد النابودة، دار البارودي، لبنان-بيروت، ط1، 1427-2006، 945/2-963

³ "سلطان بن سيف بن مالك اليعربي (ت 1090هـ) بويغ له بالإمامة بعد وفاة الإمام ناصر ابن مرشد -أي عام 1050هـ-، وهما أبناء عم. نصب الحرب لمن بقي من النصاري بمسكد، وسار عليهم بنفسه حتى نصره الله عليهم، فاستفتح كثيرا من بلادهم وحرب كثيرا من مراكبهم، وغنم كثيرا من أموالهم. دفن بجوار الإمام ناصر بن مرشد في نزوى" الأزكوي، كشف الغمة، 965/2-966

- المطلب الأول: نظرة عامة:

لقد حاولت الإباضية وحسب منظورها بناء المثل الديني الأعلى للحكم والسلطة، من خلال تصور مثالي للإمامة مشروط بشروط معينة.¹

وكان من أسباب قيام الدعوة الإباضية الرفض للأمر المترتب عن الأحداث التي عرفتھا دولة الخلافة والخلاف بين المسلمين حول مسألة الخلافة، وأدت تلك الأحداث بدورها إلى تراكمات ومواقف واضحة وجلية حول أسس الإمامة، التي ترفض القرشية والنسب الشريف في اختيار الإمام، لتتجاوز الشخص إلى مفهوم أعمق وأشمل يقوم على أسس العلم والتقوى والقوة والالتزام بمبدأ الشورى والإجماع والتعاقد من خلال العلماء (أهل الحل والعقد) استنادا إلى الآية ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ (الشورى: ٣٨) والواقع أنه ترسخت لديهم قناعات ترفض الانصياع لأي طاعة عمياء لإمام مهما كان تاريخه وسيرته وامتيازاته، فيرفضون أي سلطة لا تقبل أن تكون تحت طائلة المحاسبة والنقد.²

وينصون على ذلك صراحة في مؤلفاتهم، ومما جاء فيه "وفي الإجماع³ أنها غير مخطورة لأحد، وإنما هي على اختيار الصالحين، وقد زعم الخلفيون أن الإمامة في قریش، فروايتهم معارضة للآية، وقد ضارعتها قول الإباضية لقوله تعالى لإبراهيم: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ (البقرة: ١٢٤)⁴

نشأت الإمامة الإباضية في البصرة حين أرسى الإمام جابر بن زيد⁵ أصول الإمامة الاعتقادية، ثم ما قدمه أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة⁶ من آراء كونت في مجملها ملامح الأصول السياسية للمذهب.¹

¹ العلي، بلال موسى، الإمامة الإباضية والاستعمار، مركز الدراسات والوثائق، الإمارات-رأس الخيمة، ط1، 2009، 53

² العلي، الإمامة الإباضية، 81، 83

³ لعله يقصد إجماع علماء الإباضية.

⁴ السعدي، جميل بن خميس، قاموس الشريعة الحاوي طرقها الوسيعة، مكتبة الجيل الواعد، ط1، 1436-2015، 37/86

⁵ "جابر بن زيد الأزدي (نحو 18-93) ولد في بلدة فرق من أعمال ولاية نزوى، وينتسب إلى قبيلة اليعحمد الأزدية، وكان من بيت علم ومعرفة. تعلم القرآن ومبادئ اللغة في عمان، ثم هاجر إلى البصرة وبدأ يتنقل بينها وبين المدينة والحجاز، لقي كثيرا من الصحابة وأخذ عنهم العلم، كابن عباس وعائشة وابن مسعود وابن عمر وغيرهم، وهو مؤسس المذهب الإباضي." الحارثي، عبدالله بن سالم، أضواء على بعض أعلام عمان قديما وحديثا، المطابع العالمية، عمان-روي، ص19-21

⁶ "أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي بالولاء (نحو 58-150) كان أعور، واشتهر بالقفاف. تعلم العلوم وعلمها، ورتب روايات الحديث وأحكمها، من أهم فقهاء المذهب الإباضي. ظل أربعين عاما يطلب العلم، ودرس على مجموعة من الصحابة أمثال جابر بن

ومن الناحية الأساسية تعد الإمامة نظاما غايته حماية المجتمع وتوفير بيئة صالحة يعيش فيها الأفراد وفق ما أمر الله، ومن واجب الإمام الدفاع عن حقوق المسلمين وحمايتهم، ثم انتقلت هذه الآراء إلى عمان حيث لاقت قبولا وتأييدا وانتشارا كان سببا في إعلان إمامة الظهور الأولى في عمان عام 132هـ².

- المطلب الثاني: ثبوت الإمامة ووجوبها:

نص الإباضية على مسألة وجوب الإمامة عندهم في كتابتهم، فهي عندهم "ربانية عامة في الدين، والإجماع على فرض ثبوتها مع الإمكان بشروطها"³ وهي "فرض بالدليل من الكتاب والسنة والإجماع، فالدليل من الكتاب قوله ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ النساء: ٥٩ وهم الأئمة.. ومن السنة أن رسول الله ﷺ كان إذا افتتح بلدا أمر عليها أميرا مرضيا..⁴ هذا جانب، ولهم في ذلك أدلة أخرى كثيرة يسوقونها نقلية وعقلية.

- المطلب الثالث: التكيف الشرعي لسلطة الإمام:

يعد منصب الإمام قمة السلم الهرمي للمراكز القيادية في النظام السياسي الإسلامي، فسلطته أعلى سلطة وإرادته لا ترد ما كان ملتزما بالإسلام قولاً وفعلاً، وقد وردت عبارات للفقهاء تتضمن تصورا لسلطة الإمام ومنصبه. والذي يستنتج من عبارات الفقه الإباضي أنه وكيل الأمة ونائب عنها، ويقوم هذا التكيف على الطريقة التي ينصب بها الإمام، وهي الاختيار والرضى به، والعقد له بالإمامة. فالأمة هي التي اختارته وفوضته في التصرف في حقها تديرا ورعاية، واهتماما بشؤونها ومصالحها، ولولا هذا الاختيار لما جاز له تنفيذ الحدود وجمع الصدقات، ولما استحق الطاعة فيما يأمر وينهى، والنصوص الشرعية التي تدل على طريق الاختيار في

عبدالله وأبي هريرة وعبدالله بن عباس وغيرهم، ودرس على جابر بن زيد، وكان يقول (حديث ليس له إمام في الفقه فهو ضال، فلولا أن من الله تعالى علينا بجابر بن زيد رضي الله عنه لضللنا). من تلاميذه سلمة بن سعد، وأبو سفيان محبوب بن الرحيل، وغيرهم. كانت وفاته زمن خلافة أبي جعفر المنصور. انظر: الحارثي، أضواء على بعض أعلام عمان، 22-23. الشماخي، سعيد بن عبدالواحد،

كتاب السير، تحقيق د. محمد حسن، دار المدار الإسلامي، لبنان-بيروت، ط1، 2009، 196/1

¹ درويش، د. عبدالحميد، الإمامة والتقية عند مفكري الإباضية، عالم الكتب، مصر-القاهرة، ط1، 1428-2007، ص9

² لاندن، عمان، 57

³ السعدي، قاموس الشريعة، 36/86-37

⁴ الكندي، أبو بكر أحمد بن عبدالله، المصنف، تحقيق د. مصطفى بن صالح باجو، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، سلطنة عمان، ط1، 1437-2016، 270/10

تولية الإمام تؤكد أن الإمام إن هو إلا وكيل اختارته الأمة، ولهذا كان لها حق المراقبة والمحاسبة على تصرفاته، بل حق العزل إن هو حاد عن الوفاء بالتزامات العقد الذي أبرمته معه. ولا يعني ذلك أن لها السلطة المطلقة تعيينا وعزلا، وتحكما في التصرفات التي يقوم بها، وإنما سلطتها محددة بما لا يناقض إرادة الشارع سبحانه.¹

- المطلب الرابع: صفات الإمام:

وهو منصب لا يختار له إلا من كان ذا أهلية تامة، وذلك بأن يكون:

رجلا، مسلما، ورعا، سليم العقل والحواس، ليست به عاهة، وأن يكون حرا بالغا، متمتعا بمؤهلات القيادة من: الإقدام، وحسن السياسة، والحنكة، وسعة الصدر، ورباطة الجأش، وعلو الهمة، والخبرة بشؤون الدين والدنيا، ومعنى هذا أنه لا بد أن يكون عالما مجتهدا، أو أن يكون من حوله علماء يستمد منهم خبرته ويرجع إليهم في حل المشكلات.²

وبالرغم من عدم اتفاق علماء الإباضية -المشاركة منهم والمغاربة- حول الشروط الدقيقة للإمامة، فإن المبدأ الأساسي الذي تركز عليه نظريتهم السياسية هو المنهج الديمقراطي وأحقية كل من توفرت فيه شروط الإمامة لمنصب الخلافة، دون إقامة وزن للون والجنس. وهذا المبدأ الذي لا يختلف فيه الإباضية إطلاقا، واختيارهم لهذا الاتجاه كان مبنيا على أساس أنه المسار الوحيد الذي يضمن الحريات الأساسية للمواطن في إطار التعاليم الإسلامية، ومن أهم تلك الحريات حرية اختيار من يتولى شؤونه.³

ومع ذلك فهم يميزون إمامة من لم تجتمع فيه هذه الخصال، إن كان عدلا ثقة، قويا على الإمامة، ومأمونا على ما تقلد من أمر الله وله معرفة. ويجوز حتى أن يقدّم إماماً وفي المسلمين من هو أفضل منه وأعبد.⁴

¹ العبري، د.علي بن هلال، الإمامة في الفقه الإسلامي دراسة مقارنة، مكتبة الضامري، عمان-السيب، ط1، 1436-2015، ص72-74

² الخليلي، أحمد بن حمد، شرح غاية المراد في نظم الاعتقاد، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، سلطنة عمان، 1424-2003، ص167

³ وعلي، بكير بن بلحاج، الإمامة عند الإباضية بين النظرية والتطبيق مقارنة مع أهل السنة والجماعة، مكتبة الضامري، عمان-السيب، 1431-2010، 232/1

⁴ الكندي، أحمد، المصنف، 315-314/10

- المطلب الخامس: طريقة الوصول لمنصب الإمامة:

الطريقة الأولى عند الإباضية لاختيار الإمام هي الشورى واجتماع أهل الحل والعقد لاختياره، وهذه الطريقة ذات مراحل. فلا بد أولاً أن يجتمع أهل الحل والعقد فيما بينهم عند إرادة تنصيب إمام جديد، ويكون هذا الاجتماع للتشاور حول أكفأ الشخصيات لهذا المنصب، ويمكن لبعض القادة القبليين الاشتراك مع العلماء، إلا أنه ليس لهم مبدئياً أي تأثير على القرار النهائي، فهو يعود إلى العلماء وحدهم¹، ولعل المراد من إدخال القادة القبليين هو مكانتهم الاجتماعية وتأثيرهم السياسي، وكان ذلك سابقاً في أيدي القادة القبليين، وربما يتغير بتغير أحوال الزمان وظروفه حسب من يكون له التأثير على الرأي العام فيسعى لاستمالاته لأجل الحصول على التأييد.

وبعد تداول النقاش ووقوع الاختيار على الشخصية التي تجتمع فيها الشروط المطلوبة، يُقدم المرشح لأهل البلد لإتمام البيعة التي تجري في حضور العلماء ورؤساء القبائل.

وما هو نصاب عدد هؤلاء المجتمعين؟ هناك خلاف بين الإباضية في ذلك، فمنهم من يقول أنهم يكون ستة ليعقد الإمامة الخمسة الباقون بعد اختيار أحدهم - وهذا أقل عدد تنعقد به البيعة على هذا القول - ، وهذا أخذوه من عدد الذين عقدوا الإمامة على الخليفة الأول أبي بكر، والذين اختارهم الثاني عمر بن الخطاب ثم عقدوا البيعة لعثمان بن عفان. وهناك قول آخر بأن أقل ما تنعقد به البيعة اثنان؛ لأن الإمامة لا تصح إلا عن مشورة وتراض من الخاصة، وإذا وقع التراضي بواحد فأقل من يخاطبه اثنان من خيارهم من أهل العلم والمعرفة. وذهب غيرهم إلى أن الإمام لا يحتاج إلى من يعقد له؛ لأن المراد التراضي به، فإذا وقع التراضي عليه من الخاصة فهو إمام، مستدلين بذلك بإمامة عمر بن الخطاب أنها ثبتت باختيار أبي بكر إياه، فرضي الناس بذلك دون العقد، فثبتت صحة ذلك.² ويمكن عد هذه هي الطريقة الثانية التي تستغني عن الشورى، وهي التي انتهجها الإمام الخليلي في اختيار الإمام الذي يليه.

¹ غباش، عمان الديمقراطية الإسلامية، 72

² الكندي، أحمد، المصنف، 355-354/10

- المطلب السادس: أنواع الإمامة (الحكومات الشرعية الإباضية)

أولى الإباضية اهتماماً فائقاً بموضوع الإمامة عندهم، ومن بين ما ناقشوه في أطروحاتهم مسألة أنواع الإمامة، ولا شك أن مما دعاهم إلى ذلك حرصهم وحماستهم الشديد للتطبيق الحرفي لمبادئهم، غير أن الظروف والأحوال لم تكن مواتية لهم في كثير من الأحيان، لذا وبحسب الأوضاع التي تمر بها الأيام شدة ورخاء وضعوا تقسيمات لطرق تطبيقهم لمبادئهم، بما يتناسب مع ما يمرون به، "فما يجب إبان القوة ليس كالذي يجب في فترات الضعف، ومن المعلوم أن الإسلام دين ونظام، ولذلك ييؤ كل أمر مبدؤه، ويعطي كل شيء ما يلائمه من الأحكام."¹ وقد أعطوا تلك التقسيمات مسمى خاصاً، وهو (مسالك الدين) وجعلوها أربعة أقسام:

1 - الظهور: وهو -كاسمه- ينبئ عن القوة واجتماع شمل الأمة وانتظام أمرها. وهذا الذي كان من

بعده -عليه الصلاة والسلام- عندما بايع المهاجرون والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان الخلفاء الراشدين، فإن بيعة كل واحد منهم كان وفق هذا النظام.

وميزة هذا المسلك أن نظام الدين فيه يطبق على الأمة بغير استثناء، فتقام فيه حدود الله، ويؤمر فيه بالمعروف وينهى فيه عن المنكر، ويقبض فيه على يد الظالم، كما تصان فيه أرض الإسلام.

2 - الشراء: وهو مأخوذ من قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ

لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾^١ التوبة: ١١١ فالشراء باعوا نفوسهم لله ليتغون رضوانه.

والشراء إنما يكون في حال عدم ظهور كلمة أهل الحق، وذلك بأن يكون العدو متسلطاً عليهم، فتنبري طائفة من المؤمنين لمحاولة الحد من هذا الفساد، لإقلاق العدو ومباغتته، ويمثل لذلك بخروج أبي بلال² مرداس بن حدير أيام بني أمية بعد أن بالغوا في تتبع أصحابه والتنكيل بهم.

¹ الخليلي، شرح غاية المراد، 102

² "مرداس بن حدير بن عمرو التميمي (ت 61 هـ) وقد يقال مرداس بن أدية، وأدوية أمه، وأخوه عروة بن أدية. معدود من التابعين، شارك مع الخليفة الرابع في معركة صفين، وكان مع أهل النهر. عاش بعد معركة النهر في البصرة ومارس فيها نشاطه الدعوي، وفيها التقى بجابر بن زيد. كان إماماً في الورع والتقوى والخشية من الله سبحانه، شديد الغيرة على دينه. قتل مع أصحابه في مواجهة مع عباد بن علقمة المازني عامل قائد عبيد الله بن زياد، حين استوقفوهم لصلاة العصر فغدر بهم عباد وأصحابه وقتلهم أثناء صلاتهم."

3 - الدفاع: وهو أن يجتمع المسلمون عندما يفاجئهم عدوهم بالانقضاض عليهم على مبايعة أحد منهم ليقودهم دفاعاً عن دينهم وعن حرمتهم، إلى أن تنجلي الغمة وينكشف العدو، وتنتهي بذلك بيعته.

4 - الكتمان: وهو خلاف الظهور معنى وحكما، وذلك بأن يكون المسلمون في ضعف وتشتت، بحيث لا يمكنهم أن يسلكوا أي مسلك من المسالك الثلاثة المذكورة من قبل ولا بد لهم من مرجع يرجعون إليه يدلهم على الرشد ويذكرهم بالله واليوم الآخر، ويقوم بما أمكنه من مصالحهم. وهذه الحالة هي التي مرت بها الدعوة إبان نشوئها في المجتمع المكي، فإن أصحاب النبي ﷺ كانوا يلتفون حوله في كتمان من أمرهم، ويتلقون عنه ما يصلح دينهم وديارهم. وقد كان هذا مسلك أبي الشعثاء جابر بن زيد عندما رأى تعذر انتظام أمر المسلمين في وقته واجتماع شملهم على القيام بنظام إسلامي يتحدى النظام القائم آنذاك.¹ هذه هي أشكال الحكومة الشرعية عندهم، ويقابلها حكومة الملك أو السلطان، وهو اللقب الذي يطلق عندما تكون الحكومة غير مستوفية للشروط الشرعية من بيعة صحيحة وحكم إسلامي منضبط.

وإذا أردنا إسقاط هذا التقسيم على دراستنا حول الإمام والفكر السياسي من خلال سيرته، فإننا نجد أن مظاهر إمامته كانت تتسم بمظاهر إمامة الظهور، فقد كان — كما سيأتي في الفصل التالي — إماماً قائماً بدولة مستقرة، يطبق الحدود ويجري الأحكام وينصب العمال والولاة والقضاة، ويسير الجيوش.

فلم تكن إمامة شراء تهدف لإقلاق عدو ما، إذ كانت الدولة قائمة بكيانها وسيادتها، ولا كانت إمامة دفاع، فلم يشترط على الإمام أمد معين لإمامته، بل كانت إمامة كاملة، ومن باب أولى لا يقال بأنها إمامة كتمان، فقد كانت الدولة ظاهرة وصيتها سائراً أقلق الوجود البريطاني في المسيطر على الساحل العماني، لدرجة السعي لوضع الضغوطات عليها من أجل نزولها عند بعض مطالبهم.

الهميلي، سالم بن سعود، الإمام أبو بلال مرداس بن حدير منهجه وجهاده في الدعوة، بحث تخرج في كلية العلوم الشرعية، 1415-1995.

¹ الخليلي، شرح غاية المراد، 103-107.

المبحث الثالث: الظروف المحيطة ذات التأثير على فكر الإمام

- المطلب الأول: الأحوال الثقافية والدينية:

كانت عمان حاضنة المذهب الإباضي ومعقله الرئيس، وظلت كذلك حتى اليوم.

ويتميز المذهب الإباضي بخوضه في المباحث السياسية تطبيقاً وتنظيراً بشكل يفوق غيره بكثير، إذ من مبادئه الأساسية أنه لا بد من إقامة الحكم الإسلامي بالصفة الصحيحة، والذي يقوم على تطبيق القرآن والسنة، وخلافاً لغيرهم لم يكونوا يعترفون بحكم من خالف هذا الأمر الأساس، ولم يضعوا اعتبارات لقضية أخذ الملك بالغبلة، أو القومية والعرق، إلا من ناحية دبلوماسية تهدف إلى تحاشي التصادم مع القوات الكبرى لأجل المحافظة على كياناتهم حتى تسنح لهم الفرصة بتطبيق مبادئهم.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فهم مع اعترافهم بفضل السلف وتقديرهم، لم يقيّدوا أنفسهم بإيجاب تقليدهم والالتزام بآرائهم ونظريهم، وإنما يعرضون ذلك على النقد فيأخذون ما وافق القواعد والمصالح، ولا يلزمون أنفسهم بسواه.

ونتيجة لذلك فقد احتفظت عمان باستقلالها في أغلب أوقاتها، ولم تكن تتبع الدول المتوسعة التي شملت كثيراً من البلدان العربية والإسلامية، وما تبع ذلك من تخليف سمات ثقافية وتاريخية تركت أثراً على حضارتها.

ففي عصر الدولة الأموية لم يقبل العمانيون الانضمام إليها بسبب مخالفتها للمبادئ الدينية عندهم إلا كرهاً¹.

و في الدولة العباسية كانت تدور بينهم حروب ومعارك في كل مرة تحاول الدولة العباسية فرض سيطرتها، فإما أن ينجح العمانيون في صد الغزو، وإما أن تتغلب عليهم الجيوش لمدة ثم يطردونها حينما تجتمع القوة لديهم².

ومن الجدير بالذكر أن تلك المرات التي نجح فيها الغزو الخارجي في فرض سيطرته على القطر العماني كانت - غالباً - في وقت تفرق واختلاف وحروب أهلية وقبلية بين أبناء البلد، وهو ما يسبب ضعفاً ووهناً في صفوفهم

¹ انظر: البوسعيدي، الرائع، 186/1-189

² انظر: البوسعيدي، الرائع، 262/1-347

فلا تكون لهم القوة الكافية لرد العدوان. وبالعكس فإنهم حين يتداركون أنفسهم ويعيدون تنظيم الصفوف وتحقيق الوحدة تكون لهم اليد العليا على غزاتهم¹.

وكذا مع كون صورة الدولة المثالية عندهم واحدة في كل عصورهم، إلا أن كل حقبة كانت تتميز عن غيرها من النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية، بحسب ما تحتمه الظروف، وبحسب ما يستجد من نظر لدى رجال الدولة والعلماء والمسؤولين.

إذ نرى مثلاً أنه في غالب أحوال تنصيب أئمتهم أن الإمام تكون له السلطة المطلقة والكلمة الأولى في الحكم، ولا يقيد بأي شروط أو قيود في طريقة حكمه، وذلك عندما يكون ذا شخصية قوية وقيادية مع تضلعه في العلم الشرعي وبلوغه المرتبة التي تخوله الاجتهاد، كما يظهر في حال الإمام محمد الخليلي.

وفي أحيان أخرى تُفرض قيود عديدة على تصرفاته وأفعاله، لدرجة أنه يبدو كالممثل لجهة العلماء دون أي سلطة حقيقية في يده، حتى يحمل ذلك بعض المؤرخين على الظن أنها حركة متعمدة من قبل العلماء في اختيار شخص ضعيف ليتسنى لهم أن يكونوا "القوة المحركة وراء الحكم"²، وهذا إنما يكون لأجل غياب الصفات التي تؤهل الشخص المنصب للإمامة للاجتهاد في المسائل الشرعية بنفسه إذ لا يكون على الدرجة الكافية من العلم، ومما لا شك فيه أن قضية البت في الأمور الدينية ذات شأن خطير في المنظومة الدينية الإسلامية، ووردت آيات قرآنية تحذر من التقول في المسائل الدينية بغير علم، نحو: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ... وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (الأعراف: ٣٣)

﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ (النحل: ١١٦)

﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ (النساء: ٨٣)

¹ انظر: السالمي، تحفة الأعيان، 241-267

² لاندن، عمان، 350-352

وهذه الشكل للإمامة يظهر في الإمامين السابقين للإمام الخليلي، الإمام سالم بن راشد الخروصي والإمام عزان بن قيس البوسعيدي¹. ويكون التغاضي عن صفة التعمق في العلم واختيار الإمام في هذه الأحوال لأجل مكانته الاجتماعية وتأيد الناس له، وهذا مطلب أساسي لنجاح مشروع الدولة.

هذا من نظرة عامة، وإذا جئنا إلى الظروف الثقافية والعلمية في عصر الإمام الخليلي، فنجد أنها كانت متدنية جدا لدرجة أن المتعلمين يعدون على أصابع اليد، وكان طابع الجهل هو السائد المنتشر بين الناس.²

وهذا طبيعي إزاء تدهور الأحوال للبلاد، التي سبق ذكرها.

ويحمل أحد الباحثين أسباب تدني الثقافة في نقاط³:

- 1 - قلة المكتبات.
- 2 - شح الكتب، وإن توفرت فهي قليلة.
- 3 - انحصار الكتب مع طبقة معينة من العلماء والأغنياء.
- 4 - الفقر، وهو من النقاط الأساسية إذ كان الفقراء هم الطبقة السائدة ذلك الوقت، فيشتغل الفقير لأجل تحسين معيشته، فليس عنده ما يكفيه لا شراء الكتب، ولا عنده وقت للتفرغ للعلم.
- 5 - الفتن القبلية والحروب الأهلية.
- 6 - قلة المواصلات.
- 7 - قلة العلماء والمتعلمين، بل إن من كان يجيد القراءة والكتابة تلك المدة قليل.

ورغم هذه الظروف كانت مدرسة الإمام السالمي قائمة وتضم بعض الطلاب، وكان الإمام نور الدين السالمي يشرف عليها بنفسه، ومن أولئك الطلاب الإمام الخليلي الذي أصبح من كبار العلماء، حتى أنشأ مدرسة في

¹ "عزان بن قيس البوسعيدي (ت1287) بويج بالإمامة سنة 1885، عقد عليه البيعة الشيخ سعيد بن خلفان الخليلي، كانت بيعته بيعة إمام ضعيف، وسبب اختياره أنه من بيت السلطنة وتفرسوا فيه صدق اليقين وقوة الإيمان فصدق الله فيه ظنهم. قتل في مطرح إثر رصاصة أصابته في المعركة، وكانت إمامته سنتين وأربعة أشهر." السالمي، تحفة الأعيان، 259، 296.

² الشكيلي، مدرسة الإمام محمد الخليلي، 26.

³ الشكيلي، مدرسة الإمام محمد الخليلي، 27-28.

نزوى تضم كثيرا من الطلاب من شتى البلدان، وأحضر العلماء لتدريسهم، وهذا ساعد على رفع المستوى الثقافي ولو بشكل قليل.¹

- المطلب الثاني: الظروف الجغرافية:

تقع عمان في أقصى جنوب شرقي الجزيرة العربية، وتتنوع الأقاليم الجغرافية في عمان تنوعا مفيدا، فمن سهول ساحلية إلى جبال بها سفوح يسكنها الإنسان منذ أقدم العصور، إلى أودية تنحدر من هذه الجبال كانت أيضا مستقرا للإنسان العماني القديم، إلى صحارى كانت متنفسا للقبائل الضاربة في الصحراء. وإذا كانت الجغرافية الطبيعية لعمان تميزها على هذا النحو عن سائر أنحاء الجزيرة العربية، فإن موقعها الجغرافي له أيضا أهمية كبرى، ذلك لأنه لعب دورا هاما في قوة البلاد الذاتية. كل هذه الموصفات التي تنبئ عن أهمية موقع عمان الجغرافي، جعلت بعض الباحثين يقولون إن ذلك لا بد أن ينعكس على سير الأحداث التاريخية، ويؤثر على تحديد موقعها السياسي، ويؤسسون على ذلك أن ما كان يحدث في مركز الدولة العربية الإسلامية ينعكس على عمان وعلى بقية الأقاليم العربية الأخرى، وأن أمن عمان ومصلحتها يتصل بأمن ومصلحة الدولة العربية الإسلامية، ونحو ذلك.²

إلا أنه عند النظر والتمحيص، نجد أن عمان كانت غالبا بعيدة عن الأحداث الدائرة في حواضر الدولة العربية الإسلامية وتأثيراتها.

فعلى الصعيد الإسلامي لم تتأثر عمان الأحداث التي وقعت في الدولة الإسلامية بما يظهر على الساحة ويكون له أثر واضح، ففي الفتنة التي وقعت في خلافة الخليفة الثالث عثمان بن عفان لا نجد ذكرا بارزا لعمان وللعمانيين في تلك الأحداث، وكذا ما تبع ذلك من حروب أهلية بين الخليفة الرابع علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان في حرب صفين.

¹ الشكيلي، مدرسة الإمام محمد الخليلي، 27-28

² مجموعة باحثين، عمان في التاريخ، دار أميل للنشر، لندن، 1995م، 15-16

ويبدو واضحاً العزلة التي انتهجتها عمان وشعبها في تلك الأحداث، فقد حاربت للحصول على استقلالها من الدولة الأموية¹، واستقلت عن الدولة العباسية وبقيت كذلك، إلا ما تخلل ذلك من بعثات وُجّهت لإخضاعها، وكان ذلك يستمر لمدة ثم ينتهي².

وفي حادثة الأعرابي العماني الذي سُئل عن سبب فصاحته فقال "إنا بقطر لا نسمع فيه ناجخة"³ التيار⁴ إشارة إلى بعدهم عن التخالط الذي وقع في الحضارة الإسلامية بعد توسعها مع الثقافات والشعوب الأخرى، وما تبع ذلك من تأثيرات كان من أبرزها تغير اللسان العربي.

وحتى في العصر القريب بالقرن العشرين حين كانت هناك حركات إصلاحية في بعض البلاد العربية أبرزها مصر، وما تبع ذلك من نشاط ثقافي وأدبي، لم يكن يظهر ذلك على إنتاجات وكتابات العلماء والأدباء والمفكرين العمانيين إلا شيئاً قليلاً⁵، ورغم تواصل الحضارة العمانية قديماً وفي القرون المتأخرة مع مختلف الحضارات والثقافات عن طريق التجارة البحرية خصوصاً، وتأثيرها على بعض تلك المناطق بنشر الإسلام وتخليف بعض مظاهر البيئة العمانية هناك — وربما بقيت بعض السلالات العمانية مقيمة في تلك المناطق حتى اليوم—، وكذا الإنجازات العمانية الكبيرة المتمثلة في طرد بعض القوات الغازية لشبه الجزيرة العربية من الفرس والبرتغال، وغير ذلك على الصعيد الخارجي، إلا أن الثقافة العمانية لم تبد عليها آثار المجتمع العربي والعالمي إلا قريباً جداً. - على أن كل ما ذكر في السابق بدأ بالاختفاء تدريجياً منذ وفاة السلطان سعيد بن سلطان⁶ وانقسام البلد بين

¹ انظر: البوسعيدي، الرائع، 186/1-189

² انظر: البوسعيدي، الرائع، 262/1-347

³ "ناجخة الماء ونجيخه: صوته. وقال ثعلب: الناجخ صوت اضطراب الماء على الساحل" ابن منظور، لسان العرب، 192، نجح. ولعله كناية عن اختلاط غيرهم بالعجم وغير العرب، فكأن كلام الأعاجم يشبه صوت اضطراب الماء المشوش على صفاء الجو.

⁴ السالمي، عبدالله بن حميد، تحفة الأعيان بحرية أهل عمان، مكتبة الاستقامة، 1417-1997، ص15

⁵ انظر: الزيني، د. محمد عبدالرحيم، المنهج النقدي عند الإمام السالمي، دار اليقين، مصر-المنصورة، ط 1، 1437-2016، ص36-41

⁶ "سعيد بن سلطان بن أحمد البوسعيدي (1204-1273) ولد في بلدة سمائل، وتولى الحكم بعد وفاة أبيه سلطان عام 1219 مع وجود أخيه الأكبر سالم بن سلطان، إلا أن هذا الأخير رضي به حاكماً. اتسع نفوذ الدولة العمانية في عصره بشكل لم تشهده من قبل، وحافظ على استقلال بلاده رغم الحروب الدائرة تلك الأيام ومطامع الأوروبيين في الخليج. كانت وفاته في عرض البحر في طريقه إلى زنجبار. بعد أن اشتد به ألم بساقه عن جرح قديم." انظر: ابن رزق، حميد بن محمد، الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين،

أبنائه، وما تبع ذلك من تدخل الاستعمار البريطاني لفرض سيطرته على البلد ومنع أي محاولات لإعادة الأوضاع إلى ما كانت عليه-.

"لقد انسلخت عمان عن غيرها من الأقطار المجاورة لها بحكم موقعها الجغرافي، فجبالها الشاهقة تنفصل عما جاورها من البلدان بواسطة الصحراء العربية حيث يقع الربع الخالي"¹

فكأن الطبيعة الجغرافية العمانية بجبالها العالية الممتدة، وبواديها المنتشرة، وقسوتها المناخية، شكلت عزلة نسبية لها كانت ذات أثر في حفظ كيائها وصون ثقافتها مدة طويلة من الزمن، وبالذات على القسم الداخلي منها الذي ولد وعاش الإمام الخليلي فيه.

وفي هذه الطبيعة نشأ الإمام وترعرع، بعيدا عن صخب العالم وتغيراته ومؤثراته، منصب الاهتمام على أحوال بلده وسير الأحداث فيه.

- المطلب الثالث: الأحوال الاقتصادية والسياسية:

مع نهاية الحرب العالمية الأولى (1914 - 1918 م) وجدت بريطانيا نفسها السيدة المطلقة في منطقة الخليج. وكان استيلاء بريطانيا على المرافئ الأفريقية من جهة، وعلى المرافئ الهندية ومرافئ شرق آسيا من جهة أخرى، وكذلك السيطرة على الطرق البحرية للمحيط الهندي والخليج، كان ذلك قد شل ما تبقى من الأسطول العماني الذي وصفه أحد المؤرخين بأنه استحال حطاما:

(تحول أسطول عمان الذي كان في السابق أكبر الأساطيل وأقواها إلى كومة من الهياكل الخشبية المحطمة القابعة في مراسيها).

ويعطينا هذا الوصف فكرة واضحة عن الوضع الاقتصادي العام ونمط العمانيين، وعن انعدام النشاطات التجارية على وجه الخصوص. وبطبيعة الحال فقد كان الإنتاج الزراعي يتناقص مع غياب النشاط التجاري،

وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، 1397-1977، ص 460. الراشدي، سليمان بن جابر، السلطان سعيد بن سلطان حاكم خلوده التاريخ، ط 1 / 1426-2005

¹ الشيبه، النهضة، 47

وكان المجتمع العماني قريبا من حالة الاختناق. أما اتصال عمان بالعالم الخارجي فكان يقتصر على سفينة واحدة أسبوعية، علما بأن المرافئ العمانية كانت تؤوي -قبل وصول البريطانيين بقرن- مئات السفن.

كذلك لم يكن بوسع سلطان عمان آنذاك سوى أن يسلم كل شؤون بلاده تقريبا إلى السلطات البريطانية. بل إن بعض المؤرخين الأجانب يذكر أنه تخلّى عن إحدى صلاحياته الأساسية التي هي الإشراف اليومي على شؤون البلاد لصالح المقيم السياسي البريطاني المقيم في مسقط، وكان كل ذلك ذا أثر سلبي على البلاد على مختلف الأصعدة، سياسية واقتصادية واجتماعية.¹

هذا التدهور في وضع البلاد، مضافا إليه التدخل الكبير للاستعمار البريطاني في أحوالها السياسية وتحكمهم بالسلطان، والفتن والقتال التي كانت تنشب بين الفينة والأخرى²، مع ما كان يؤدي ضمير العلماء من انقطاع الحكم الشرعي للإمامة والتي كانت سمة ذات أهمية بالغة في التاريخ العماني والإباضي، وتمثل قيمة روحية ودينية كبيرة لهم، كل ذلك كان دافعا لهم إلى التوجه بأبصارهم لإعادة إحياء الإمامة الإباضية، من أجل إقامة الحكم الشرعي الإسلامي أولا، ثم لإعادة الاستقرار إلى البلاد، فكانت النهضة العمانية بقيادة الإمام الضير نور الدين السالمي، والتي توجت بتنصيب الإمام سالم بن راشد الخروصي عام 1338هـ.³

وكان الإمام محمد بن عبدالله الخليلي ضمن المشاركين في تلك الأحداث، فهو في المقام الأول تلميذ قائد النهضة الإمام السالمي، ثم مع ذلك هو حفيد صاحب النهضة السابقة الشيخ سعيد بن خلفان الخليلي، لذا كان لها تأثير واضح عليه أدخله إلى الحياة السياسية العمانية من أوسع أبوابها، والذي كانت خاتمته تنصيبه إماما عام 1338هـ.

¹ غباش، د. حسين، عمان الديمقراطية الإسلامية تقاليد الإمامة والتاريخ السياسي الحديث 1500-1970، دار الفارابي، لبنان-بيروت، ط4، 2006، ص274-275

² انظر: لاندن، روبرت جيران، عمان منذ 1856 مسيرا ومصيرا، ترجمة محمد أمين عبدالله، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، ط3، 1404-1983، ص427-452. غباش، عمان الديمقراطية الإسلامية، 241-275

³ لتفاصيل جهود الإمام السالمي وأحداث إقامة الإمامة انظر: الشبيبة، النهضة

الفصل الثالث: الجوانب التي يبرز خلالها فكر الإمام السياسي

المبحث الأول: نظام الحكم عند الإمام وسياسته مع الولاة والعمال

- المطلب الأول: العلاقة مع الولاة والعمال

نستطيع استجلاء الكثير من المعالم عن حكم الإمام من خلال تحدث معاصريه عنه، فهو "يحكم في دولته التي سادها العدل والأمان بكتاب الله المنزل على رسوله، وبسنة نبيه الكريم"¹، "ملك روح الشعب بالسياسة والمحبة واللين لا بالقوة والجبروت"²، بل كان يشترك مع هذا الرأي حتى الخارجون عن نطاق حكم الإمام، يقول أحد الصحفيين الذي زاروا عمان من إحدى الدول الأوروبية: إن الإمام محمد بن عبدالله الخليلي يستطيع أن يسود العالم كله بحكمته وسياسته³.

ومن خلال مراسلات الإمام مع عماله وولاته وعلماء مصره، نرى كيف أنه كان يشاورهم ويشركهم في مهمات الأمور ويأخذ بأرائهم، وكانوا في مراسلتهم معه -على قدر منزلته الدينية والسياسية- منفتحين وصريحين بشكل كبير لدرجة التأنيب والعتاب الصريح.

ففي إحدى رسائل الإمام، ذكر أن بعضهم ينكر عليه أنه يأخذ برأي نفسه ورأي أحد مقريه ولا يتركون لغيرهم رأياً، فوصف الإمام تنبيهه ذلك بأنه "هو الحق"، ودعا إلى الإمساك عن إبداء الآراء في السياسة حتى يجتمع المسلمون "فما اجتمع عليه اثنان وخالفهما الثالث نكون مع الاثنين، وذلك على شرط عند الاجتماع، وما كان من مسألة دينية نرجعها إلى الدين، وكل يجيب، ولا تقليل ولا مدهانة ولا تبجيل، وكذلك أمر الرأي يوضع عند أهله"⁴

¹ الشكيلي، مدرسة الإمام محمد بن عبدالله، 47

² الشكيلي، مدرسة الإمام محمد بن عبدالله، 56

³ الشكيلي، مدرسة الإمام محمد بن عبدالله، 47

⁴ الإمام الخليلي، الفتح الجليل، 65

ووردت رسالة للإمام يعاتبه مرسله على جعله جاييا بمنطقة العوابي، ثم بعدها جعل جاييا آخر بعد خروج هذا المرسل -وهو عبدالرحيم الخروصي- إلى العوابي لتمهيد الأحوال.

ومما ورد فيها "فهل يليق بمنصبك ذلك؟ كلا، ولا على ذي عقل..."، ثم يدعوه إلى نسخ الجابي الثاني خوف الفتن.

فنرى مدى هذه الصراحة -المبالغ فيها ربما- مع شخص كالإمام، ولا يكون ذلك إلا إن كانوا يعلمون أنه لا ضرر يخشونه جراء أمثال هذه العبارات والتأنيبات الشديدة، وأنهم يتوقعون أن يستجيب الإمام، أو يجعل كلامهم محل نظر على الأقل.

ومع ذلك، فإن الإمام لم يكن يتلقى ذلك بالقبول والتأييد وحط النفس دائما، بل يرد عن نفسه أحيانا حين تكون نظرتة مخالفة لاعتراض المرسل، وربما يواجهه أيضا بالتأنيب ردا على تأنيبه، ففي الرد على الرسالة السابقة مثلا قام بتوضيح لبس ما جرى على المرسل وأنه لم يفعل ما أنكره عليه في رسالته، وكذا بيّن وجهة نظره حيال بعض الأمور الأخرى، ثم عقب قائلا "وليس قولك هذا مما تقتضيه السياسة ولا العقل... فافطن إن كنت فطنا"¹

ورغم أن مظهر الحلم هو الغالب على طابع تعامل الإمام مع عماله، إلا أنه حين يقتضي الأمر فإنه يشتد عليهم بخطاب يصل إلى التهديد أحيانا، ففي مراسلات له مع قاضيه الشيخ سعيد بن أحمد الكندي، حين معاقبة بعض الناس، وطلب الإمام منه التحقق والتوثق قبل الإقدام، نستطيع رؤية حدة الموقف بينهما من عبارات كثيرة وردت في الرسائل، بل هو الطابع الغالب على هذه الرسائل، فنجد فيها:

"كأنك ترى الصواب في فعلك وأنت ترى الخطأ في مراجعتنا لك وفي تبليغ الناس مهمهم إلينا كأنك جاهل بسيرة السلف، اعلم أن عليك القيام بالأمر، وعلينا تقويمك إن اعوججت رضيت أو كرهت، ولسنا ممن إذا قيل له بأمر غضب وسكت، من راجعنا راجعناه، ومن أتاننا بالحق قبلناه، وكان عليك أن تراجعنا بإظهار الحق وتبيينه لا بالسكوت والتأخير، وزد الأمر إلينا في العظيم والحقير.

¹ الإمام الخليلي، الفتح الجليل، 22-23

فيا أيها المسلمون ناقشوا أنفسكم وراجعوا دينكم، ولا يسكت أحد منكم عن أمر يرى الحق في غيره ولا عن النصيح، ومن نُصح فعليه أن يقبل النصيحة، وعليك أن تبين لنا ما توجب به على فلان القيد إن كنت توجب عليه ذلك، فإنه قد طلب ذلك ونحن طلبناه منك والسلام، وما سيرتنا التشفع لأهل الجنايات ولا أنا نحب أن تقصدي¹ للأمر، وقولك: السعيد من اكتفى بغيره، ما في كل موضع، وليت السلامة تحصل لنا ولك، وهيهات ذلك.."

وعند قرب نهاية المراسلات يقول له بلهجة شديدة "واعلم أي أقسمت أنك إن عاقبته بلا موجب لأضعن العصا على ضلعك والقيد في رجلك، وانظر لنفسك الأسلم لك في الدنيا والدين، والسلام"²

وكذا كان الإمام ينصح عماله ويطلب منهم النصيحة أيضا، ويحاول شد أزهرهم وحثهم على القيام بالواجب إن رأى منهم تخوفا أو تضعضا، فمن أمثلة نصيحته لعماله: " في إحدى رسائله "طريق الاستقامة صعب، والمرء بأخيه، فما رأيتم فينا من القصور والتقصير يجب عليكم تسديدنا والتنبيه، فلعلك تعتذر بعدم القبول، وليس هذا بعذر، إن أديت الواجب عليك وكان القصور والتقصير من غيرك فماذا عليك؟"³

"ونوصيك بتقوى الله ولين الجانب للأخيار أهل المناصب، وبالشدة لأهل الشقاق والنفاق"⁴

"ينبغي للعاقل أن يكون في الزلازل وقورا وعند الرخاء شكورا، ونوصيكم أن تمسكوا بالكتاب والسنة، فمن تمسك بهما فقد هدي إلى صراط مستقيم، ولا تقولنكم الأمور إن كنتم متبعين الحق، فإنه لا يمكن للإنسان ألا يبتلى..⁵"

¹ كذا في الأصل، ولعل الصواب [ولا أنا نحب أن نتصدي للأمر]، "د. مبارك الراشدي"

² الإمام الخليلي، فتح الجليل، 62-64

³ الإمام الخليلي، فتح الجليل، 38-39

⁴ الإمام الخليلي، فتح الجليل، 45

⁵ الإمام الخليلي، فتح الجليل، 61

وكان الإمام إذا عتب على أحد من العمال شيئاً أو أساء في فعله استدعاه وألقى عليه خطابه بمحضر أهل العلم، وبين له ما يعد عليه ويعتب، وكان يقول "إنما ينبغي أن نعتب على أنفسنا قبل أن نعتب على سائر الناس وأن ننصف من أنفسنا قبل أن ننصف من الرعايا، ولا يمكن إلا ذلك".¹

وأما طلبه النصح —لدرجة الهضم من نفسه أحياناً— فمثله ما نجده في بعض الرسائل الأخرى:

"مع أنا لا نولي أمرنا بالرجال إلا إن بان لنا الحق، فنحن إن تمسكنا به لا نبالي، وإن ظهر منا الضعف عندنا ركن شديد إلى أن اعوججنا ولم نسلك المحجة المستقيمة"²

ويتهم نفسه في بعض الرسائل قائلاً "ومن أين ترجى استقامة من أحد على هذه السيرة التي نحن عليها؟!"³

وكثيراً ما يشاور عماله ورجاله في الإجراءات والأحداث التي تحصل، غير مستبد برأيه، مقتدياً في ذلك بسير أسلافه الأئمة والخلفاء الراشدين، بل قد يفوض إلى ولايته التصرف بما يروونه أحياناً بعد أن يبين وجهة نظره، كقوله في مسألة خلاف وقعت بين أهل منطقتين حول الأفلاج والأراضي: "وأما الأحكام—وإن كان صاحبها لا يلام— تورث الأضغان، والأضغان تورث الاستقصاء، ونخاف أن يقع الضيق فيه على الكل،... فيا أيها الشيخ نحب الصلح بينهم،... وإن آل الأمر إلى الحكم فأنت أولى بالحكم لأنك أعلم بالأحوال والمطلع على الأقوال"⁴

والناظر في مراسلات الإمام مع عماله وولاته يجد أغلب الرسائل إما إخبار عن واقعة أو حكم، أو نقاش فيهما، وهي بتحرير الإمام نفسه لا بكتاب خاص كما جرت عادة الملوك—وإن وجدت بعض الاستثناءات في هذا الأمر عند الإمام—⁵.

¹ الشكيلي، مدرسة الإمام محمد بن عبد الله، 76-77

² الإمام الخليلي، فتح الجليل، 60

³ الإمام الخليلي، فتح الجليل، 55

⁴ الإمام الخليلي، فتح الجليل، 46-47

⁵ ينظر: الإمام الخليلي، الفتح الجليل، باب الرسائل 17-80

كما أنه كان حريصا في انتقاء الولاة الذين يضطلعون بأعباء الأمر وإن وجد بعض الاعتراض على ذلك، فمما يذكر أنه ولى أحد رجاله على بعض المناطق، وكان عادلا فيهم، إلا أن بعضهم لم يحب ولايته عليهم، فطلبوا من الإمام عزله، فلم ير الإمام ذلك. فلما لم يحصلوا على طلبهم من الإمام دبوا مكيدة بأخذ مركز الولاية لما كان العامل غائبا عن البلد، ليُروا الإمام قدرتهم على التصرف ويرغموه على تلبية طلبهم.

بعد ذلك أرسل الإمام من يفحص الأمور في تلك المنطقة، فرجع إليه وقد جمع جيشه، فنصحته رسوله بألا يتحرك في هذا الوقت.

واجتمع إليه بعض رجاله يلومونه على التأخير ويحرضونه على القيام بعد أن وصلت إعانة له من عند السلطان، غير أن رأيه كان مخالفا لهم، وكان الإمام يميل إلى الإقناع في المناقشة دينية كانت أو سياسية، فحاول إقناعهم أولا، ثم رأى منهم استخفافا وإدلالا، فقام بتقريعهم وتذكيرهم بما يعلمه منهم من النكوب في عملهم أو خلقهم.¹

ولم يكن يستمع لكل ما ينقل له عن ولايته، بل يحب التحقق والتحري عن ذلك، فقد أرسل إليه بعضهم ينتقد جملة من الأمور، من بينها أحوال بعض الولاة والقضاة، وبعد أن رد الإمام على انتقاده بأن غيره تكلم بمثل كلامه أيضا، فلما قاموا بالتحقق تبين خلاف ما قيل.²

وأرسل إلى بعض القبائل يعتب عليهم ضيق صبرهم مع الولاة، ويطلب منهم إن عدوا شيئا على الوالي الجديد أن يحضر إليه عشرة رجال من الأخيار ليقولوا ما عندهم، فإما أن يُقَوِّم إن كان فيه شيء، وإما أن يبدل.³

وربما استجاب أحيانا لأمثال تلك الاعتراضات من باب السياسة وتأليف القلوب، فقد عزل أحد ولايته لأسباب قريبة من هذه، ثم قال بعد عزله: "وما عذرنا لأمر نعهده، ولو كان لأمر نعهده عليه في دينه لقوّمناه وعزلناه، إلا أنا لم نحب للمسلمين إلا التوسعة والرفق لا جلبا للمال، مع علمنا أنه قد مارس الأمر وحنكته

¹ الشيبة، النهضة، 333-334

² الإمام الخليلي، الفتح الجليل، 70-71

³ السيفي، محمد بن عبدالله، النميز روايات وحكايات، الموسوعة العالمية للتجليد - لم يذكر عدد ولا سنة الطبعة-، 114/3

التجارب، وفيه مع العلم والحزم والعزم، فاخترناه أن يكون بداركم واليا وقاضيا. ونعلم يقينا أن كثيرا من الناس لا يحب ذلك، وليس كل من يكره الحق يعطى سؤله...¹.

- المطلب الثاني: اهتمام الإمام بانفتاح الدولة على الخارج ومواكبة التطور:

ذكرنا في الفصل الماضي دخول عمان في مرحلة العزلة إثر تدخل الاستعمار البريطاني وبعد تدهور الأحوال الاقتصادية التي أعقبت الحرب العالمية.

لكن نجد محاولات من الإمام وسعيا في إقامة علاقات مع الدول المحيطة آنذاك، -وسيعقد مبحث خاص لهذا الأمر إن شاء الله - وبعض ذلك لا يقتصر على الاهتمام بمجرد إقامة العلاقات الودية، بل يسعى إلى تنمية الدولة اقتصاديا.

فيذكر أنه بعث برسالة إلى روبرت هاي المقيم العام في البحرين يسأل عما إذا كان من الممكن تحديد نصيب لعمان -أي المناطق الخاضعة لحكم الإمام- وذلك من خلال مدفوعات شركات البترول صاحبة الامتيازات في عمان نظير التنقيب عن النفط.² وهذا يعني -إن ثبت- السماح بدخول شركات أجنبية في الدولة، وتحويلها في نواحيها لأجل التنقيب عن النفط، وإقامة علاقات معها للحصول على رسوم ذلك.

وتماشيا مع تطور الأوضاع في العالم والأنظمة المستحدثة، فقد قام الإمام بإصدار جوازات سفر باسمه وصفته، وتتضمن:

¹ الإمام الخليلي، فتح الجليل، 60-61

² الزهيمي، إسحاق بن سيف، الآثار الفكرية عند الإمام محمد بن عبد الله الخليلي، بحث مشارك به في مسابقة ابن عمير للبحث العلمي، 108، 2010-1432

(إن حامل هذا الجواز هو من رعايا الإمام محمد بن عبد الله الخليلي. ومسموح له بالسفر إلى كل البلاد المذكورة أعلاه. وإننا نطلب إلى جميع من يهمهم الأمر في البلاد الصديقة السماح لحامله بالتنقل بحرية وتقدم جميع التسهيلات).¹

ولما وصل الباروني² إلى عمان، كان في مسقط عند السلطان، فطلب منه الإمام زيارته، وكان له أثر في إزالة العقبات بين الإمام والسلطنة، ثم سافر إلى العراق، وبعد عودته منها إلى عمان كلفه الإمام برئاسة هيئة كبار العلماء والرؤساء،³ فلم يستتف أن يعيّن شخصا غير عماني في مسؤولية كبيرة كهذه.

ومما هو معلوم أن الباروني كان من كبار المصلحين في العالم العربي ذلك الوقت، فلا شك أنه كانت له مشاريع إصلاحية وتطويرية ينوي إقامتها في بلد الإمامة، ويتضمن ذلك إدخال الأنظمة الحديثة فيها، بدل الجمود على الأنظمة التقليدية، ولكن لم تصلنا تفاصيل مشاريعه، ولم يكمل هو خطته - كما سيأتي -.

- المطلب الثالث: مدرسة الإمام الخليلي وأثرها في تغطية احتياجات الدولة، و(الحاكم

المعلم) في شخصية الإمام :

قام الإمام الخليلي بإنشاء مدرسة في نزوى تضم كثير من الطلاب ومن شتى البلدان، وقام بإحضار العلماء لتدريس هؤلاء الطلبة. وكان الإمام الخليلي يولي هؤلاء الطلبة اهتماما خاصا ويغرس في نفوسهم حب العلم، وعندما يتخرج هؤلاء الطلبة من هذه المدرسة يوزعهم الإمام الخليلي على حسب احتياجات دولة الإمامة.⁴

¹ غباش، عمان الديمقراطية الإسلامية، 327

² "الباشا سليمان بن عبد الله بن يحيى الباروني (1287-1359) ولد بمدينة جادوا، حاضرة متصرفية فساطو من أرض المغرب، وتلقى العلوم الدينية والعربية في جامعات تونس والجزائر ومصر، وأخذ عن أبيه العلامة عبد الله بن يحيى، وعن قطب الأئمة محمد بن يوسف أطفيش، ثم قفل راجعا إلى وطنه. كانت له آراء خاصة بسياسة الدولة العثمانية، فاستوجب نعتهم عليه، وبقي في كفاح مرير حتى اعتدت إيطاليا على طرابلس، فشارك بجهوده في تحرير بلاده، وأبى الاعتراف بالصلح بين تركيا وإيطاليا، فواصل كفاحه إلى أن اضطر إلى دخول الحدود التونسية، ولم تستقر نفسه حتى أقنع مسؤولي مجلس الشيوخ العثماني بمواصلة الجهاد، فُعِين واليا على طرابلس للمواصلة، حتى قررت تركيا الانسحاب منها. توفي بداء السكتة في بومباي فجأة." الشيبه، النهضة، 341-343.

³ الشيبه، النهضة، 340-342

⁴ الشكيلي، مدرسة الإمام محمد بن عبد الله، 28

وكان لا يرى منزلة لأحد فوق منزلة المتعلمين، فقد كان يحبهم ويرعاهم ويفتح لهم المجالس، ويقدمهم في الصلاة، ويتعهدهم بنفسه، ويداوي مرضاهم، إلى آخر ما يحتاجون إليه من عون.¹

ومن خلال بعض ما ورد عن هذه المدرسة وتنظيماتها، يتبين أنه لم يكن يشترط في الطلاب بلوغهم سنا كبيرة، فيذكر أنه كان يشترط —عندما يريدون طلب حاجة منه وهو في بيته— أن يكون رسول المتعلمين إليه في بيته ممن لم يبلغ الحلم منهم²، إذن لم يكن الإمام يحصر قبول الطلبة على فئة المراهقة وهي بدايات البلوغ، بل يتساهل حتى فيما دون ذلك.

وكان يفتح المجال ويدافع عنهم ضد ما قد يعتب عليه فيهم، أو يلقي إليهم من تهم، فإنه ذكر أن بعض طلبته أخذوا يترددون على أحد العلماء المسجونين في الحصن لتدارس المسائل معه، فقال أحد أهل نزوى للإمام: "هؤلاء الطلبة يريدون أن يحدثوا انقلابا"، فقال الإمام الخليلي: "هؤلاء طلبة علم، ولو جاز أن أسقيهم دمي لسقيتهم، ولكن لا يجوز"³

ورغم العناية والحب الشديد الذي كان يوليه الإمام لهؤلاء الطلبة، فإنه لم يكن يتخرج من توجيه اللوم والعتاب الشديد إليهم حين يقترفون بعض الأمور، من ذلك أنه خرج ومعه الطلبة لأداء الصلاة، وكان معهم اثنان من شيوخ القبائل، فلما أراد الطلبة التقدم للصلاة قاموا يتعازمون من الذي يتقدم، ثم أشاروا لشيوخ القبائل ليتقدم واحد منهما، فغضب عليهم الإمام غضبا شديدا، وقال: "تعلمتم وما تأدبتم، هؤلاء شيوخ لا يقدمون للصلاة!"⁴

¹ الزهيمي، الآثار الفكرية، 96

² الزهيمي، الآثار الفكرية، 96

³ من 1-6 مأخوذة من: الشكلي، مدرسة الإمام محمد بن عبد الله، 113. والتعليقات التوضيحية عليها من عند الباحث.

⁴ الزهيمي، الآثار الفكرية، 98. بل يُذكر أنه استدعى الشيخ خلفان بن جميل السيابي ليدرس الطلبة، وفي حضوره عندما قام بعد الغداء ليغسل يديه، تراحم الطلبة على صحن الطعام—وكانت تلك أيام شدة— حتى سقط بعضهم على الطعام. وحين كان الإمام

وبلا شك، فقد كان لهذه المدرسة آثار، نذكر منها ما يلي¹:

- 1) أوفت بمتطلبات الدولة من الوظائف المختلفة، فتخرج فيها القضاة والجبابة، فكانت تقدم عوناً للإمام في ذلك، إذ يكون عماله هم تلاميذه وأبنائه الذين رباهم بيديه وصنعهم على عينه، وهو ما يساهم في ربط لحمة حكومة الدولة بالانسجام بين الحاكم والمسؤولين.
 - 2) كانت سبباً في تأخي هؤلاء الطلاب وتعارفهم، وهذا سيكون له أثر واضح حين يكونون بعدها زملاء في تحمل مسؤوليات الدولة، ويحتاجون إلى التعاون والتفاهم فيما بينهم لأجل أداء ونماء أفضل.
 - 3) إن تجمع الطلاب في هذه المدرسة وهم من مختلف القبائل كان سبباً في إخماد العصبية القبلية.
 - 4) ضمت العديد من الطلبة من خارج عمان، ونشر ذلك سمعة طيبة عن العمانيين، خصوصاً عن الإمام ومدرسته — ولم أجد من ذكر هؤلاء الطلبة—.
 - 5) تخرج فيها فطاحل العلماء والأدباء، وهذا يشكل ثروة بشرية مهمة تحتاج إليها الدولة وتستند عليها في سبيل التنمية والحفاظ على الاستقرار، ومن شأنه تحقيق وزن لها بين الدول المجاورة.
 - 6) أولئك الدارسون أصبحوا مشعلاً لنشر الدين بين جماعتهم، وهذا وإن كان يدخل في التنمية العلمية لا السياسية، لكنه بلا شك متعلق بسياسة الداخل، إذ تثقيف الشعب وتعليمه أفضل من تركه شعباً جاهلاً، فإن الشعب المتعلم سيكون أكثر تعاوناً مع إصلاحات الدولة وقوانينها، وأكثر اتزاناً في التعبير عن مطالبه واعتراضاته.
 - 7) إبراز جانب (الحاكم المعلم) في الإمام، وهو ما لم يكن معهوداً عند غيره.
- وهذا سيكون له أثران:

- على الإمام، وهو التعمق في معرفة أحوال فئة معينة في المجتمع، وذلك أن هؤلاء الطلبة يسكنون معه طوال اليوم، فيعرف أحوالهم أكثر من الرعية والجلساء الذين يجدهم صباحاً في المجلس لقضاء

عند الشيخ خلفان يقول له "هؤلاء أولادكم ويريدونكم أن تعلموهم" قال له بغضب "هؤلاء ينبغي أن يؤدبوا أولاً ثم يتعلموا". فاستاء الإمام بعد ذلك، وجمع الطلبة وضربهم كلهم، باستثناء اثنين لم يكونا حاضرين ذلك اليوم.

¹ الشكيلي، مدرسة الإمام محمد بن عبد الله، 151-152

الحوائج ثم ينصرفون، ولا شك أنه سيكون على اطلاع أيضا بأوضاع أسر الطلبة، وتكون له علاقات معهم، وهذه نقطة إيجابية تجعل له مؤيدين خاصين من الشعب.

- على الطلبة والشعب، إذ يبرز لهم جانب آخر من شخصية الحاكم خارج شؤون السياسة وشواغل الدولة، فيبعث فيهم عاطفة أخرى تجاهه، توثق صلتهم به أكثر، وترفع من احترامه وتقديره.

- **المطلب الرابع: تفاقم الخلافات، وحفظ الإمام للدولة من الانحلال طول مدة حكمه:**

رغم السياسة الحليمة المتفهمة التي كان يقيمها الإمام مع عماله، إلا أن الأوضاع لم تستمر على ما هي عليه طوال مدة حكمه، فقد دبت الخلافات والمشاحنات بينهم، بل حتى مع الإمام نفسه، وهذا نتلمسه من مراسلاتهم مع الإمام والأحداث التي جرت معه، بل من حديث الإمام نفسه عن ذلك.

فكانوا بعض الأحيان - إن لم يعجبهم أمر أصدره الإمام، ولم يستجب لاعتراضهم - يقومون بالتصرف الذاتي بطريقة تحاول إرغامه على الاستجابة لهم، فما ذكرته سابقا عن تولية الإمام المصلح سليمان الباروني منصبه في دولته لغرض الإصلاح والتطوير لم يستمر طويلا، إذ سعى بعض من لم تعجبهم سياسته الجديدة حتى أغضبوه وقدم استقالته للإمام، فرأى الإمام قبولها ألا يخرجه في ذلك.¹

ومثل ذلك - وقد جرى بطريقة أكثر تحديا - ما ذكرته أيضا عنه حين ولى واليا على إحدى المناطق فلم يحب البعض ولايته عليهم، ولما رفض الإمام عزله، فلم ير الإمام ذلك دبروا مكيدة بأخذ مركز الولاية لما كان العامل غائبا عن البلد، ليُروا الإمام قدرتهم على التصرف ويرغموه على تلبية طلبهم، حتى جمع الإمام جيشه لأجل الرد على ذلك.² بل بلغ الأمر بالبعض أن يخرج عن الإمام الخليلي ويشنع عليه، بل يصل إلى أن يذهب إلى مسقط، ويرتبط بالسلطان ويتولى القضاء عنده، وهذا أحد الشخصيات البارزة في الثورة لقرابته من الإمام السابق.³

¹ الشيبة، النهضة، 340-342

² الشيبة، النهضة، 333-334

³ الكندي، د. محسن بن حمود، الشيبة أبو بشير محمد بن عبدالله السالمي رحلة حياة ومسيرة واقع، رياض الريس للكتب

والنشر، لبنان-بيروت، ط1، 2011، 128/1

ومن تتبع الرسائل، نجد أن بداية شكوى الإمام من تثاقل الناس وعدم حمل أنفسهم على الحق منذ 1354هـ، أي بعد توليه الإمامة بـ14 سنة تقريباً، وقبل وفاته بـ19 سنة. وكذا الشكوى من العجز وقلة ذات اليد حتى لإصلاح مرافق الدولة، أما الشكوى من تهافت العمال على المال وكثرة السائلين فنجدته منذ 1347 أي بعد تسع سنوات من توليه الإمامة،¹ حتى أنه ختم إحدى رسائله بقوله "مع أنا نعلم أنا في حثالة من الناس..²

وربما نعيد أسباب ذلك إلى تثاقل الناس عن الثورة وغياب استعدادهم لها ولأعبائها ومصاعبها، واعتياد نفوسهم على التسيّب الذي كان حاصلًا قبلها، وثقل أحكام العدل عليهم.

بل كانت هناك اعتراضات عليها وقت التخطيط لها³. ثم لما فقدت الثورة رمز وحدتها الوطنية، بدأ الناس يظهرون ما كانوا يكتُمونه تهيّبا منه. ورمز الثورة وإن كان البعض يراه الإمام السابق سالم بن راشد الخروصي⁴، إلا أن الراجح أن رمزها هو زعيمها الروحي وباعثها العلامة السالمي، وربما كان خفوت الأصوات المعارضة في عهد الإمام سالم وبعد وفاة العلامة السالمي، لحزم الإمام وشدته حتى فرض هيئته عليهم.

أما خليفته الإمام الخليلي، فقد كان حلمه وتسامحه الشديد يعطيهم جرأة على الجهر باعتراساتهم وتذمرهم لدرجة مبالغة فيها، بل وصل الأمر إلى محاولة عزله من منصبه.

فقد كان "لا يحمل الناس على العنف والإرهاب، ولا تكليفهم بما لا يطاق. أحسن السياسة وألان الجانب، حتى أوغل القضاة الشرعيون في التعنت والتنطع والاستخفاف، وطمعوا في عفوه، فحصل فساد في العمال، فاحتجّوا لأنفسهم المال من غير حله، ولتساهله وإغضائه عنهم وقبوله العذر منهم وحملهم على حسن الظن، كان يبيع أصول أمواله ليستر أعراضهم وينقذهم من ضيق الحصر.

¹ انظر: الإمام الخليلي، فتح الجليل، 35، 40، 68.

² الإمام الخليلي، الفتح الجليل، 70-71.

³ الشيبة، النهضة، 115.

⁴ غباش، عمان الديمقراطية الإسلامية، 292.

كثرت فيهم الوقية، فأصبح كل فرد منهم مدلا بنفسه مستخفا بالآخر. وكان من رأيه ما دام تنطعمهم في الآراء التي تجلب لهم رياسة ولو كانت تافهة أنه لا بأس بالسكوت عنهم ما لم يترتب عليها أثر ديني.

مرت سنوات والخلف يتسع، والكلام من الفريقين يزيد، وكل يتعصب لهواه حتى لا يعترف بفشله، وحتى تجرأ بعضهم فحاول عزل الإمام، فاجتمعوا بحسن نزوى، فكتبوا له ما لا يحسن أن نكتبه.

أجابهم: إني خارج عصر اليوم عنكم، وانظروا لأمركم. بهذا الجواب سقط في أيديهم ورأوا أنهم قد ضلوا، فارتبكوا واختلفوا ولم تثبت أقدامهم¹

ونستطيع القول إن دولة الإمامة كانت تسير في طريقها إلى الانحلال من قبل منتصف حكم الإمام الخليلي، وقد توقع هو ذلك بنفسه، ومن بين أقواله التي اشتهرت عنه "كأني بالفتن على أفواه السكك"²، وبناء على ذلك فلعلنا نقول إن قيام دولة الإمامة كان قبل أوانها، و"كان الأجدى أن تفتح القلوب قبل الحصون"³

وما يزيد ذلك تأكيداً، أن الإمام قام باستخلاف الإمام اللاحق له -بتعبير آخر: ولي العهد- على خلاف ما جرت عليه العادة في نظام الحكم الإباضي بأن تترك هذه المسألة حتى انتهاء مدة حكم الإمام الحالي بموته، ثم يجتمع أهل الحل والعقد لاختيار الإمام الجديد.

وكان اختياره أولاً لنجل الإمام السابق، غير أنه وجد بعض الاعتراضات عليه فبدله بغيره، إلا أن هذا الأخير لم يسلم من الاعتراضات أيضاً، وجرت محاولات لإعادة العهد إلى الاختيار السابق غير أنها لم توفق.

ويعلل فعل الإمام لذلك بأنه "أراد جمع العمانيين على الهدى" وأن "الفتنة قائمة، ويجب أن يكون خليفة يُرجع إليه تحزرا من الفشل بعدم الاجتماع، ولا يجتمعون إلا عن رأي الإمام."¹

¹ الشيبة، النهضة، 391-392

² الشكيلي، مدرسة الإمام محمد بن عبد الله، 90

³ الخليلي، أفلح بن أحمد، السياسة الشرعية عند الإمامين المحقق الخليلي والعلامة السالمي ، ذاكرة عمان، عمان-مسقط،

أما من جانب الرعية، فرغم أن حالهم العامة حتى نهاية عصره كانت مخالفة للحساسية الناشئة بينه وبين عماله، حتى كانوا يطلقون عليه لقب "نور عمان"²، ويُذكر أن البدو في الأماكن البعيدة كانوا من حبهم وشغفهم بالإمام إذا عثر أحدهم يقول "الله ينصر الإمام" وهم ربما لم يقابلوه في حياتهم³ وفي يوم وفاته خرج الناس والأطفال والكبار والصغار لتشيع الجنازة، وكان كل شخص يحمل إناء ليفوز بشرف الرش على قبره⁴.

رغم ذلك إلا أنه في الجانب الآخر أيضا فإنه يذكر أن عدد من أقيم عليه حد القتل في نزوى 140 رجلا، وفي خارجها من اللصوص وقطاع الطرق الذين لم يقدر عليهم إلا ببذل مال، ما ينيف على أربعين رجلا. هذا على أقل الأقوال التي وصلت من القضاة!⁵

وبالنسبة لحكم امتد لـ 35 عاما، مع حاكم مثل الإمام الخليلي كان يتغاضى ويتسامح عن كثير من الأمور، حتى التي يحصل فيها القتل أحيانا⁶، فهذا عدد كبير ينبئ عن اضطراب الأوضاع في ذلك الوقت.

ورغم كل ذلك استطاع الإمام أن يحفظ استقرار الدولة مدة حكمه، فلم تنحل ولم تتفكك في تلك المدة، ولم يفقد شيئا من المناطق التابعة له، وكان إنجازا الحفاظ على الوضع مدة 35 سنة، على تلك الخلافات والوقائع والدسائس، التي وصلت — كما ذكرنا — إلى التخطيط لعزله، ولكنه ظل محتفظا بمهيته وقدره حتى يوم وفاته، بل إلى اليوم، وما زالت الألسنة تكيل له الثناء والدعاء ممن عاصره وممن لم يدركه.

ولم يكن ذلك ليكون إلا بسياسة محنكة، تعرف متى تحزم ومتى تلين، وبطبع صبور، وصدر واسع، بحيث يتلقى كل تلك المصاعب والمثبطات، ثم يظل متابعا لمسيرته، غير كليلا ولا واهنا. ولا أظن أنه في المرات التي اقترح فيها الاعتزال أنه كان يقصد ذلك، وإنما هو لسياسة وحكمه، مقصودها التقريع والإيلاء، وذلك لما يحتفظ به من قدر عالٍ في نفوس الجميع، يجعل فيهم هيبة من الإقدام على عزله حقا، وإن تفوهوا بذلك.

¹ الشبية، النهضة، 384-385

² الشكيلي، مدرسة الإمام محمد بن عبد الله، 62

³ الشكيلي، محمد بن سليمان، محاضرة ألقاها في سناو شهر شوال عام 1436هـ

⁴ الشكيلي، مدرسة الإمام محمد بن عبد الله، 38

⁵ الشبية، النهضة، 391

⁶ انظر: عودة خلفان بن ثنيان إلى نخل، الشبية، النهضة، 315-316

المبحث الثاني: تعامل الإمام مع الرعية

- المطلب الأول: مع العامة:

كما ذكرنا في المبحث السابق، لم يجعل الإمام نفسه في طبقة أرقى من طبقة الشعب، والكلمة متفقة على ذلك.

فقد كان يياسط الناس الخاصة والعامة، ويقص لهم القصص الدينية و الآداب الدنيوية، يسلي المتوجع، لا يرد سائلا ولا مسترفدا، ولا يملك ما بيده، أكرم أهل زمانه، كأئما عنه القائل:

لجاد بها؛ فليثق الله سائله

ولو لم يكن في كفه غير نفسه

يجلس إلى الناس: الخاصة والعامة، يياسطهم ويعلمهم أمر دينهم ودنياهم، يقضي نهاره في خدمة المسلمين، يجزه المرأة والخادم والصغير والكبير والضعيف والقوي، لا يأنف من أحد، فيقضي حاجتهم ويرجع إلى مجلسه، حتى أنه في بعض الأوقات يتولى بيده علاج المرضى من الضعفاء، ويتولى كل أمور المسلمين حتى بروات¹ الطعام لدواب الضيوف ودواب الدولة.

ملك روح الشعب بالسياسة واللين، لا بالقوة والجبروت، عظمه الناس لصغر الدنيا في عينيه فلا يرى لها قدرا.

كان قبل ارتقائه عرش الإمامة في رغد من العيش، وتألّق من اللباس؛ لأنه كان غنيا، فلما ولي الأمر رغب عن ذلك مع كثرة غناه، فكان يطوي الأيام والليالي، ويفطر على التمر والعوال.

كان لا يلوم أحدا على ما يكون العذر في مثله، يلتمس العذر لإخوانه والتخلص له من العثرة، لا يشكو وجعا ولا صاحباً، ولا ينتقم من الولي على العدو، ولا يغفل عن الولي، لا يخص نفسه دون إخوانه بشيء من اهتمامه، ولا يتبرم ولا يضجر، تأتبه الحوادث وتطرّقه الكوارث، فلا يتغير ولا يتضعع، يتلقاها بصدر أوسع من الدهناء، فإذا جاء الجد فهو الليث عاديا.

¹ مفردا "بروة" وهي عند العمانيين وريقة صغيرة تختص بأمر عاجل، كصرف مبلغ من الأموال مثلا.

كانت له ثروة خاصة عدا بيت المال، وهي مما ورثه من آبائه، فباع أصولها وأنفق الثمن في سبيل الله لإعزاز الكلمة¹.

وقد جعل للناس وقتا خاصا من يومه، فبعد ساعة من الفطور يخرج للناس فيقعد في مجلسه، ويؤذن للخاصة والعامّة غير محتجب ولا ممنوع، فبابه مفتوح للضيف والمظلوم، فيبقى في مجلسه ذاك إلى حضور صلاة الظهر، وبعد الظهر يبرز للناس خارج الحصن إلى حضوره صلاة العصر، فيصلي بهم في الجامع، ثم يدخل الحصن، فيأمر بإخراج الطعام للناس والأضياف على قدر مراتبهم حتى صلاة المغرب².

وصفه المؤرخ بشركة الزيت في كتابه المسمى "عمان" : (يستند الإمام في حكمه على الأكثر على هيبة منصبه الديني، ولا يعتمد على جيشه الكبير)³

وفي رحلة أحد المستشرقين الإنجليز لعمان، ذكر أن البدو يعترفون بالإمام سيّدا لهم، وكثيرا ما تسمع بينهم عبارة (أطال الله عمر الإمام)، وهم يعنونها بإخلاص كلما قالوها. وذلك لأنه نشر العدل والأمن بين ظهرائهم بما وفق إليه من حل مسائلهم وفض الخلافات فيما بينهم. فهنا يستطيع الرجل أن يسير غير مسلح، وأن يترك إبله بغير حراسة، دون أن يخشى من يعتدي عليها بالنيهب⁴.

ولم يكن التباس مع العامة مقتصر على مقابلتهم والجلوس معهم وتبادل الكلام، بل ضحى الإمام الخليلي بثروته في سبيل قضاء حوائجهم أيضا، فيروى أنه باع بعض أمواله وترك المال مع المشتري، فلما علم الناس تراحوا على الإمام يطلبون منه العطاء، فكان يكتب لهم في أوراق إلى المشتري ليصرف لهم، فأصبح بيت ذلك الرجل كخلية النحل من كثرة الناس، ولم يخرج الإمام من تلك البلدة إلا وكل الأموال موزعة في أيدي الناس⁵.

¹ الشيبة، النهضة، 289-290

² الشيبة، النهضة، 303

³ الشيبة، النهضة، 305

⁴ الشيبة، النهضة، 305-306

⁵ الشكيلي، مدرسة الإمام محمد بن عبد الله، 62

ومع ذلك، فإنه لم يكن أيضا مغضيا عن نصائحهم وردعهم في انحرافهم، ففي رسالة إلى بعض القبائل الذين اعتدوا على غيرهم في وقت الهدنة، كان يعاتبهم على بغيتهم ويصف تفرقهم أنه عقوبة على ذلك، ويدعوهم إلى مراجعة أنفسهم والتوبة، ويخوفهم النعمة.¹

- المطلب الثاني: مراعاة المناصب:

كان مع مساواته للجميع في قضاء حوائجهم وأداء حقوقهم، يراعي المناصب الاجتماعية لأصحابها.

يذكر أن زعيما من الزعماء جاء إلى نزوى ونزل بأحد المساجد، فأرسل رسولا إلى الإمام يخبره أنه في هذا المسجد ويطلب منه أن يأتي من القلعة للقائه. فغضب الحاضرون من هذا التصرف ونظروا إليه على أنه تكبر وتناول على الإمام، فلما انتهوا من كلامهم طلب الإمام من أحد الحاشية إحضار القرى إلى ذلك المسجد، وكان الإمام يصلي العصر أحيانا في هذا المسجد، فجعلها تلك الصلاة ولاقى الزعيم وجلس معه وصليا معا.² وروي أن أحد الزعماء سجنه الإمام، وحين أرادوا إدخاله السجن كان معه سلاحه، فأراد العسكر أخذه منه، ولكنه رفض، فقال الإمام "أدخلوه ومعه سلاحه إكراما للزعيم وشجاعته، وكان الإمام يمر على السجن يرى المساجين ويزور هذا الزعيم.³

وهو مع ذلك لا يعطيهم إلا حق منصبهم الاجتماعي، ولا يتعدى ذلك إلى ما يتجاوز اختصاصاتهم، فيذكر أنه كان طلبة الإمام يقرؤون عليه، فأخذ شيوخ القبائل يتوافدون على الإمام ويأخذون أماكن الطلبة ليجلسوا قرب الإمام حتى ابتعد الطلبة كثيرا لدرجة أن الإمام لا يكاد يسمع قراءتهم، فقالوا للإمام بذلك، فقال: من اليوم فصاعدا تخصص جهة اليمين للطلبة يجلسون فيها فهي لهم حتى البحر ولا يجلس فيها أحد من الشيوخ، وتخصص جهة اليسار للشيوخ إلى البحر لا يجلس فيها أحد من الطلبة.⁴

¹ الشيبة، النهضة، 404-405

² السيفي، محمد بن عبدالله، النمير، مكتبة وتسجيلات غاية المراد، 1426-2005، 1/145

³ السيفي، النمير، 1/153

⁴ الزهمي، الآثار الفكرية، 100

وخرج الإمام ومعه المتعلمون لأداء الصلاة، وكان معهم اثنان من شيوخ القبائل، فلما أراد المتعلمون التقدم للصلاة قاموا يتعازمون من الذي يتقدم، ثم أشاروا لشيوخ القبائل ليتقدم واحد منهما، فغضب عليهم الإمام غضبا شديدا، وقال: "تعلمتم وما تأدبتم، هؤلاء شيوخ لا يقدمون للصلاة"¹.

- المطلب الثالث: تطفه مع الأطفال:

وقد شمل بعطفه ونظره حتى الأطفال، فقد كان يمر على بعضهم وهم يلعبون وأيديهم ملطخة بالتراب، فيذهبون لمصافحته، وحرس الإمام ينهروهم، فيقول: "دعوهم دعوههم" ويقوم بمصافحتهم.²

ويذكر بعض من عاصروا الإمام في طفولتهم أنه ذهب هو وأخوه برسالة من والدهم إلى الإمام، فلما أرادوا الانصراف قال لهم: انتظروا، وترك أعماله ليبحث عن شيء يسليهم به، فوجد قطعة حلوى واحدة، فأخذ حصاة وأخذ يضرب الحلوى ليقسمها بينهما، فقال له أحدهم: أعطني إياها ونحن نتصرف. فرد عليه الإمام ملاطفا: تريدها وحدك؟ وأخوك ماذا تعطيه؟ حتى قسمها وأعطى كل واحد نصيبه.³

ومثل هذه التصرفات من محبات شخصيته إلى الشعب، حين يرون تواضعه إلى أطفالهم، وأنه لا يترفع عنهم بأبهة الحكم، أو يستقل أن ينظر إليهم نظر الوالد العطوف بسبب اشتغاله بعظام الدولة. أضف إلى ذلك الانطباع الذي سيترك في نفوس هؤلاء الأطفال حتى يكبروا، وينشؤوا على حبه والإخلاص والولاء له، بما يذكرونه من هذه المعاملة.

وهنا يظهر جانب يفارق فيه الإمام السمة العامة للحكام قديما وحديثا، فما كان معهودا أن يرى الحاكم يمشي بين الرعية، يقابل ضعفاءهم ويصل إليه حتى أطفالهم يسلمون عليه ويكلمونه، ويلطفهم ويداعبهم، بل المعهود عند الناس أن يكون الحاكم في خدمه وحشمه، لا يُنال إلا ببذل الجهد، ولا يدركه إلا فئة معينة، ولعلهم إن

¹ الزهيمي، الآثار الفكرية، 98

² الشكيلي، مدرسة الإمام محمد بن عبد الله، 59

³ الشكيلي، مدرسة الإمام محمد بن عبد الله، 60

ذكرت لهم مواقف الإمام -التي سار فيها على نهج النبي ﷺ وخلفائه الراشدين بعده- لظنوا راويها مبالغاً في كلامه أو مخوراً للواقع..

- المطلب الرابع: الإمام طبياً:

من الصفات النادرة التي جمعها الإمام إلى كونه حاكماً، الخبرة الطبية، وبطبيعة أحوال زمانه ومكانه، فقد كانت خبرته في مجال الأعشاب، إضافة إليها الرقى.

وقد أورد ضمن مشاهير أهل عمان في طب الأعشاب¹.

وكان يتولى بيده علاج المرضى من الضعفاء²، ويتعهد طلبته بنفسه، ويداوي مرضاهم³، ووردت في ذلك مواقف. فيروى عنه أنه سمع في إحدى الليالي أننا داخل الحصن، فنزل الإمام، فإذا هو أحد طلبته يشكو من وجع في عينيه، فذهب الإمام وأخذ بكرة فرس، ووضعها في خلقة ورش عليها الماء، ثم عصرها في عيني الطالب، فشفي بإذن الله⁴.

وجاءه رجل يشكو إليه وجعاً في بطنه، فقال له: [أحضر] من البن السيلاني الأصفر، فخلطها بالماء بعد دقها ناعمة، ووضعها في النار في مدلاة⁵ الطين، وسقاه منها، فشفاه الله تعالى⁶.

ومرضت ناقة حتى آيس منها صاحبها، فأعلم الإمام بذلك، فدعا بإناء فيه ماء، فقرأ عليه، فأمر برشه عليها، وسقاها منه، فبرئت بإذن الله⁷. فلم يكن إذن مقتصر على تطبيب البشر، بل يعتني حتى بدواب رعيته.

¹ السيفي، النمير، 60-59/1

² الشبية، النهضة، 290-289

³ الزهيمي، الآثار الفكرية، 96،

⁴ السيفي، النمير، 54/1

⁵ "المدلاة": عند العمانيين، الإبريق الذي تصب منه القهوة.

⁶ السيفي، النمير، 60/1

⁷ السيفي، النمير، 245/1

وهذا يدخل أيضا في كسب مودة الشعب وزيادة قدره عندهم، بمزاولة مثل هذه الأعمال، وخدمتهم بها بيده مباشرة، لا بإصدار الأوامر فحسب، ولا شك أن ذلك سيكون له انطباع خاص في نفوسهم أيضا.

فما ظنك بحاكم دولة يكشف على الناس، ويمرضهم، ويصف لهم أدويتهم، بل يتعدى ذلك إلى دواهم! كل ذلك كان مكسبا للإمام في قلوب رعيته، بلغ تأثيره حتى على من لم يلقيه —صعوبة وسائل النقل والاتصال ذلك الوقت— وبقي حتى بعد موته، فلم ير في مثل هذه الأعمال شاغلا له وصارفا عن مهماته القيادية والسياسية، بل هي جزء منها في خدمة رعيته والعناية بهم ورعايتهم.

المبحث الثالث: تعامله مع العلماء

كان الإمام الخليلي بنفسه عالما، بل يذكر أنه أعلم أهل عصره¹، فلا شك أنه كان يدري جيدا كيف يتعامل مع العلماء، فلا هو بالباحس حقهم الجاهل قدرهم، ولا هو بالمقّدس الهيب منهم لمنازلهم وعلمهم.

- المطلب الأول: مباحثاته مع العلماء في المسائل:

كثير من الرسائل المأثورة عن الإمام كانت في مباحثات في السياسة، وكذلك أيضا في مسائل فقهية قد تتعلق بالسياسة وقد لا تتعلق بها.

اعترض أحد العلماء على حكمٍ حكم به الإمام سالم الخروصي في منع سوم الغنم قريبا من الجبال، فرد عليه الإمام الخليلي بالوجه الذي حكم به الإمام الخروصي ذلك الوقت، وأنه هو —أي الإمام الخليلي— من أشار عليه به، حذرا من الفتنة التي قد تقع بين رعاة الأغنام وأصحاب الزروع القريبة من تلك الجبال، لأن بينهم شحناء ومكابرة نفوس.²

¹ الشيبة، النهضة، 301

² الشيبة، النهضة، 394-396

ونجد كذلك مراسلات بينه وبين الشيخ عيسى بن صالح الحارثي¹ يتناقشان فيها المسائل، بل تبدو أقرب إلى الاستفتاء.

منها ما وجهه الإمام إلى الشيخ عيسى يسأله عن قتل قطاع الذين احترفوا السرقة واسترقاق الأحرار، فرد عليه الشيخ عيسى بالمنع وساق كلاماً لبعض العلماء مستنداً به على رأيه، ثم يرد عليه الإمام مرة أخرى مناقشاً فيما نقله إليه في فهم وجه ذلك القول وبعض المصطلحات والتأصيلات في المسألة، وهكذا تستمر المناقشة بينهما حتى تنقطع²، ولا ندري أنهت عند ذلك الحد أم فقدت بقيتها.

وهناك أيضاً سؤال وجهه الإمام للشيخ المالكي³، وهو قريب في محتواه من السؤال الذي وجهه للشيخ عيسى، وهي أسئلة متعلقة بالسياسة وتصرفات الإمام إزاء الوقائع التي تواجهها دولته⁴.

- المطلب الثاني: تنزيه الإمام للعلماء عن تطلب المطامع الدنيوية:

كان الإمام من فرط توقيره للعلماء يحرص على حفظ قدرهم وصون نفوسهم عن الميل للدنيا والركون إليها، ويبدل لهم النصيح والعتاب في ذلك.

¹ "عيسى بن صالح بن علي الحارثي (1290-1365) نشأ في حجر أبيه صالح، وأخذ مبادئ علوم النحو والمعاني والبيان عن الشيخ خميس بن حويسن الهنائي، وأكب على التعليم له. ودرس على أبيه الصالح ثم على الإمام السلمي. قام بعبء الإمارة بعد أبيه الشهيد، وبدأ عهده بتخريب أمل السلطان فيصل في استغلال فرصة وفاة صالح، فهاجمه في وادي بني رواحة الغربي وهزمه شر هزيمة، ثم تلطف به السلطان وأكرمه وسلمه وأجرى له راتباً شهرياً، فكانت أيامه أيام سكون واستراحة. من مؤلفاته (الرد العزيز على أحكام الدرر) (رسالة في منع الإسقاط بالجوائح) توفي في القابل بعد وعكة أصابته بحمى. "الشبية، النهضة، 66-67

² الإمام الخليلي، فتح الجليل، 508-510

³ "أبو مالك عامر بن خميس بن مسعود المالكي (بين 1280 و1282-1346) نشأ يتردد بين عز والقابل للاستفادة من شيوخ العلم، ثم ركن إلى بداية فاختارها وطناً، وبقي فيها حتى ألزمه الإمام القيام بنزوى، فانتقل إليها وألزم نفسه خدمة الوطن وامتنال أمر إمامه، واشتغل بالقضاء، فهو رئيس القضاة بعصره، وجعل وقتاً للتدريس فتخرج عنه عدة علماء كالشيخ الرقيشي والشيخ منصور بن ناصر الفارسي، وابنه سعود بن عامر المالكي. كان أحد أقطاب العمانيين الذين دارت عليهم إمامة الإمامين الخروصي والخليلي. كانت بينه وبين الإمام السلمي مراسلات ومباحثات، وكان أحظى التلامذة عنده، فهو يقرأ له ويكتب عنه. من مؤلفاته: (موارد الألفاظ في نظم مختصر العدل والإنصاف) (غاية المطلوب في الأثر المنسوب). كانت وفاته بنزوى ودفن بها. "الشبية، النهضة،

357-360

⁴ الإمام الخليلي، فتح الجليل، 511

وكان مما حصل في عصره أن نشر بعض المسؤولين في مسقط كتباً لأعيان عمان يدعوهم إليه، فأيقن الإمام أنها فتنة دخلت عليه، فكتب لأعيان عمان كتباً بلفظ واحد، ونص كتابه للشيخ عيسى:

(بسم الله الرحمن الرحيم، من إمام المسلمين محمد بن عبدالله، إلى الشيخ الأكرم المحترم عيسى بن صالح وكافة آل حجر، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وإني أحمد الله إليكم إعلامنا خير وسرور.

أما بعد، فإنه ربما يبلغكم إفاد أهل عمان إلى مسكة، ودعوة أهل مسكة القبائل إليهم غير منقطعة، بثوا الرسل والكتب إلى كل أحد، والناس يقولون: إن فتح الباب وحده من الشرقية، وإنه لا يمكن أحد أن يفد مستجدياً ويرجع مليء الحقائق، والآخر إذا سار غُنف وسيء به الظن، إما أن يحسن الظن بالكل أو يساء الظن بالكل، وذلك أمر منعنا من القول، وقد تجرأ الوافدون بذلك والموفود إليهم، ولا نرى إلى المنع، فمن كان مع المسلمين وثابتاً على البيعة وغير خائس بعهدده فلا يمكن مسيره إليهم مستجدياً، وقد حجرت عليهم ذلك إلا من كان ناقضاً لبيعته وعهدده، فذلك نظره إلى المسلمين ولا يعجز الله.

واعلموا أيها الناس أن أولئك لا يعطونكم شيئاً من دنياهم إلا وأخذوا به شيئاً من دينكم. هذا قولي، وأستغفر الله لي ولكم، والسلام.

وحررته يوم 22 من شهر شعبان سنة 1357هـ¹

وطلب بعض الأعيان من الإمام كتاباً للملك السعودي فيه توصية بشأنه حين أراد زيارة الأراضي المقدسة لأداء فريضة الحج، فأعطاه الإمام ما أراد ورجع الرجل من هناك مملوء الحقائق، ثم أراد بعض العلماء المسير لأداء فريضة الحج وطلب من الإمام مثل ذلك، فأبى الإمام وقال: "لا ينبغي للعالم الوافد لحج بيت ربه أن يفد لغيره ويتعرض لغيره، ونحن نجل العلماء عن التعرض للأطماع خصوصاً في تلك المواقف، وليس العالم كغيره من الناس."²

¹ الشيبة، النهضة، 71-72

² الشكيلي، مدرسة الإمام محمد بن عبدالله، 83-84

- المطلب الثالث: طلب النصح والحث على التشجيع بالعلم، والاهتمام بأحوال العلماء:

مع ما كان يدعو إليه الإمام من التحرز والحرص للعلماء، إلا أنه كان أيضا يدعوهم للتشجيع بعلمهم ومعاونته للقيام بأعباء الدولة، فقد ابتلي الإمام في ولايته بصنفين:

1 - صنف يسعون للرئاسة ويتنافسون عليها.

2 - صنف يطلبون الورع في الاعتذار عن القيام بالواجب، مع حاجة الإمام إليهم.

فكان الإمام يحاول إزالة الهيبة من نفوسهم ويدعوهم إلى الاضطلاع بالأمر، وقد أرسل إلى أحد العلماء يطلب منه تولي التدريس والقضاء، ويصف الحكم بين الناس أنه من أعظم القرب إن حكم بعلم وعدل في حكمه، ويقول له "ولا يخفك ما يقال في القضاة، واستعن بالله وسله أن يسددك ويعينك"¹

وكان يحاول أن يحافظ على علاقة ودية مع العلماء والأعيان، فقد وقع سوء فهم بينه وبين الشيخ عيسى، فقام بعضهم ساعيا للصالح يذكر بسابقة الرجل وفضله، وكان رد الإمام على ذلك إيجابيا، إذ تلقى كلامه بالقبول والتأييد.²

ويطلب منهم النصح والتوجيه في نهاية فتاويه إن رأوا فيها خطأ، فبعد رسالة أبدى فيها رأيه في بعض الأحكام قال: "أقول قولي هذا متحريرا للعدل، وإن رأى المسلمون أن هذا خطأ فإني راجع إلى الحق، وأعوذ بالله من التماذي في الباطل، وعلى من يراه من أهل العلم أن يظهر وجه الباطل إن رآه باطلا".³

ويتعهدهم بالعناية والرعاية، فحين مرض أحد قضاة مرضا أقعده على الفراش، وكانت توقد له النار في غرفته، كان الإمام يدخل تلك الغرفة عليه يوما بعد يوم ويجلس بجانبه مع النار والدخان، حتى قال له القاضي: يا إمام

¹ الإمام الخليلي، الفتح الجليل، 41

² الإمام الخليلي، الفتح الجليل، 32

³ الإمام الخليلي، الفتح الجليل، 500

لا تؤذ نفسك معي، وأنا بخير والحمد لله، ويكفيك مصالح المسلمين. فقال له الإمام: أنت تتحمل هذه النار وحرها ودخانها طوال الوقت، وأنا أزورك لوقت بسيط فلا بأس أن أتحمّل معك.¹

وحين رأى من أحد الرجال حبه لرقبي أمته، إلا أن فقره وقلة ذات يده كانت تحجزه وتقصره عن ذلك، طلب من بعض الأعيان معاونته ليستطيع تحقيق ما يصبوا إليه.²

- المطلب الرابع: اهتمامه بالتواصل مع العلماء من خارج عمان:

لم يكن نظر الإمام واهتمامه منحصرا على الحدود العمانية، بل كان همّ المذهب ووحدته تشغل باله أيضا، ويبدو أنه كانت تصله رسائل من بعض علماء الإباضية المغاربة، ويستشف من خلال ردوده عليهم أنهم كانوا واقعين في اختلاف بسبب تشددهم في بعض المسائل التي لا تستحق التشدد فيها، فكان ينصحهم باللين والتفاهم، ويحذرهم من الفرقة والتشتت، ويذكرهم ألا ينصبوا مسائل الرأي دينا.

ونجد ذلك صريحا في كلامه إليهم، نحو قوله: (أوصيكم بالثبّت في الأمور، وألا تعجلوا على إخوانكم بقطع العذر والبراءة، واحتملوا للمسلمين ما كان فيه محتمل. ومن دين المسلمين: ألا ينصبوا الرأي دينا.

... فانظروا -رحمكم الله- بعين البصيرة، واعتمدوا على الحق، فهو السيرة التي آثرها الأسلاف. وقد رأيت في غضون تلك الورقات ما لو برهن بالبرهان لتبين أي بيان أنه من مسائل الاجتهاد، وأن للرأي فيه مجالا، وللعلماء مقالا، فلا يفضي بهم إلى التخطّطات وقطع الأعذار).³

وفي رسالة أخرى: (ونحن أهل المشرق نسلم أنكم أكثر اطلاعا للآثار والأخبار، إلا أن فيكم شدة لا تسلمون الأمر...، ويسوءنا ما يبلغنا من تخالفكم، وعدم توقيركم لذلك الشيخ -أي قطب الأئمة- وأمثاله).⁴

¹ الشكيلي، مدرسة الإمام محمد بن عبد الله، 63-64

² الإمام الخليلي، الفتح الجليل، 69

³ الشيبه، النهضة، 405-406

⁴ الشيبه، النهضة، 406-407

وفي غير جانب الأصحاب، فقد زار أحد الشيخ مشعان الإمام —وهو أحد علماء السعودية—، ودار حديث بينه وبين أحد قضاة الإمام حول الرؤية وجواز الاستنباط والاجتهاد، التي فيها مفترق الطرق بين المذاهب وموجبات التكفير وإلزام التوبة، كما يرى ذلك الشيخ.¹

وبعث الإمام كتابا إلى ملك السعودية وأحد أمرائها، بالشيخ مشعان ويذكر حسن الانطباع الذي خلفهم لديهم عن حكومة المملكة السعودية.²

المبحث الرابع: التصرف إزاء الفتن والمعارك

- المطلب الأول: الجِد والمبادرة في التصرف:

لم يكن الإمام ممن يسوّف ويهمل ما يدور حوله من البغي والفساد غير آبه بمعاناة الناس، ولا نسي أهداف الثورة ورؤاها في ضم عمان تحت لواء الإمامة.

فمن ثم نرى أن أول أعماله التي قام بها بعد تنصيبه هو استنهاض القبائل للدفع عن الرستاق، ومناصرة الشيخ ناصر بن راشد الخروصي، صنو الإمام الراحل، وإنقاذه من البغاة المحدثين به في حصنها، فخرج من نزوى في شهر ذي القعدة 1338هـ —نفس الشهر الذي بويع فيه— في صحبته الشيخ عيسى بن صالح وأعيان عمان.³ وعندما تمادى بعض البغاة في نخل —بعد أن أعطي فرصة لإصلاح حاله— جهز الإمام سرية إليه، فوجدوه في مجلسه العمومي وقتلوه رميا بالرصاص. فثار له أتباعه، عند ذلك خرج إليهم الإمام، وحاول التودد إليهم فلم يستمعوا إليه، وبعد كثير من المحاولات لثنيهم عن موقفهم ومقابلتهم لذلك بالعناد، لم ير الإمام خيارا آخر غير الهجوم عليهم بجيشه، فانتصر عليهم.⁴

¹ الخليلي، سعود بن علي، كلمة "صفحات من تاريخ عمان"، دار أبعاد، لبنان-بيروت، ط2، 2015، 67

² الشيبة، النهضة، 401-403

³ الشيبة، النهضة، 306

⁴ الشيبة، النهضة، 315-318

وأسرف بعض قطاع الطرق انتهاب أموال المسلمين، وتحصنوا بمنطقة جبلية منيعة، وبقوا على بغيتهم حتى حكم الإمام بهدر دمائهم وأمر بقتلهم، فتمكن من قتل رئيسهم، إلا أنهم قاموا يطلبون ثأره وأخذوا يقتلون ويقتلون، فرأى الإمام الخروج لقمعهم. ثم دخل معقلهم فهربوا منه، فأمر بهدم بيوتهم وقطع نخيلهم وإجلاء بقيتهم، وحمل على الأصفاة من رأى تأديبه ممن كان يساعدهم، وأرسل إلى رؤساء قبيلتهم أن يأتوا إليه، وأراد تحميلهم أمر الهارين كما هو الأمر الشرعي من إلزام الرئيس أمر مرؤوسيه، فتناقلوا عنه بادئ الأمر، حتى تحقق عندهم تحركه على عاصمتهم إن لم يمتثلوا، فهرب أحدهم إلى مسقط، وأذعن الآخر لما يراة منه.

ولم يكن للإمام وأنصاره في هذه الغزوة التي لبثت أسبوعين ونصفا إلا التمر والحوال، وكان وقت هذه الغزوة حرجا لغلاء الأسعار وقلة الأطةمة بسبب الحرب العالمية.¹

وفي واقعة أخرى، أرسل أحد الأمراء غير الداخلين في حكم الإمامة إلى الإمام أنه يريد التخلي عن إمارته، فبعث إليه الإمام من يجس نبضه ليعلم إن كان سيقى على وعده، فشعر مبعوث الإمام ببوار الغدر منه، لذا صدر إليه الأمر بالانتقال إلى منطقة أخرى، غير أن إحدى القبائل المجاورة اعتدت عليهم وعلى أهل المكان الذي انتقلوا إليه، وطالت الحرب بينهم.

فتحرك الإمام لتدارك الأمور، وبعث سرية إلى الأمير كي يخبروه بين الإيفاء بوعدة وبين الحرب، فركن ذلك الأمير إلى الإيفاء بوعدة.

ولم ير الإمام بدا من الإنصاف من القبيلة المعتدية، فأرسل إليهم من يستدعيهم لفصل الحكم بينهم وبين المعتدى عليهم. فأذعنوا وحضروا لمجلس الحكم، وأقام الإمام أحد قضاته للفصل بينهم، وأمر القضاة أن يحضروا للاستماع. ثم كان الحكم بمؤاخذتهم بما أتلوه من دماء وأموال، ويهدر ما أتلف عليهم لبدئهم بالاعتداء، فأقر الإمام الحكم.²

¹ الشبية، النهضة، 373-374

² الشبية، النهضة، 328-330.

- المطلب الثاني: التآني والسعي لحقن الدماء:

كان الإمام مع حرصه على استتباب الأمن وحفظ الحقوق، غير متسرع للقتال، ولا مبادر لسفك الدماء، بل كان دائما ما يبدأ بمحاولة الإصلاح والمناصحة، حتى إذا رآها لا تجدي، لجأ إلى آخر الدواء وهو الكي.

ففي حادثة الرستاق المذكورة، بعد أن استنهض الإمام القبائل لمناصرتة وعسكر بجيشه ، رأوا التمهّل في الأمور، وإرسال عاقل لبيب ليكشف لهم نوايا عدوهم -وهو والي الرستاق السابق للسلطان- وما انطوى عليه، ويبيّره الخبر، ويسأله موافقة المسلمين في الخروج من الرستاق بغير حرب... فلم تنجح مقالة رسولهم عنده ولا أصغى لكلامهم فرجع الرسول إلى الإمام وقص عليه الخبر، وكان الإمام حريصا على دماء المسلمين أن تراق عبثا مع قلة العمانيين وضعفهم، فاستعمل السياسة التي رأى فيها النجاح، فأرسل الأمير عيسى إلى حليف عدوهم- وسبب تحالفه معه لموجدة أسرها على عامل الرستاق- أن يوافيه بالعوابي. وكان هذا الحليف يرى للأمير حقا لا يراه لغيره، فهو يعتقد أنهم من عنصر واحد، فلذلك يمثّل لأوامره.

واتفقا أن يحتال هذا الحليف لإخراج قائد الجيش من الرستاق إلى حصنه بالحزم، وهو مركزه الباقي بيده بعد خروجه من الرستاق.

فرجع الحليف -الذي تبدلت جهة حلفائه- بسياسته التي تكفل بها ونجح في ذلك ، فخرج القائد من الرستاق بغير قتال، ودخلها الإمام فجعل واليا عليها.¹

وكذلك في حادثة نخل التي ذكرناها، كانت بدايتها أن أثار أحد الجبارين بعض القلاقل في نخل بشن الغارات، والتضييق على أهلها، وسفك الدماء، فتوسط أحد المشايخ لحسم هذه المفسدة بأن يرجع هذا الباغي إلى نخل، وأن يكون في سلك المسلمين ، رجاء أن تفوز البلاد باستتلافه الراحة والأمن والاطمئنان ، وتوجه الشيخ إليه فعاتبه على أفعاله، فأظهر الندم والأسف والتوبة عما سلف، فقبل كلامه ورجا أوبته.

ورجع الشيخ إلى الإمام يخبره، وكان الأمر شوري، فأحضر الإمام العلماء والأعيان، فكلهم رأوا السكوت عنه، والقبول منه لعدم القدرة عليه في ذلك الوقت. وأقروه رئيسا على أهل نخل.

¹ الشبية، النهضة، 306-307

ولما رجع إلى نخل بقي فيها أياما واستقامت حاله فيها، ثم رجع إلى حاله الأول، وحاول العامل مناصحته فأبى، فرفع أمره إلى الإمام، فكتب الإمام إليه النصح، ورفض الانصياع¹، ثم بعدها حصلت بقية الأحداث من قلته ومحاربة أتباعه.

وحصلت فتنة في عبري، وبعد استغاثتهم بالإمام أرسل سرية بها أعيان دولته ؛ ليلقوا النصائح الجامعة للشمل لأمير عبري الذي كان سببا في ذلك. غير أن هذا الأخير عاندهم وأبى السماح لهم بدخول البلد أصلا، وبعد يأسهم منه رفعوا الأمر للإمام، فأمرهم ألا يقدموا على أمر قبل وصوله.

فجهز الإمام جيشا يرأسه بنفسه، ولما وصل الإمام ثقل على الأمر على أمير عبري، فكلموه بالنصح مرة أخرى، فتخلى عن مركزه وسلم البلاد على أن يكون الماضي معفوا عنه.²

ومثل هذه المواقف لا تعني أن يتخلى الإمام عن حزمه ويلجأ إلى المصالحة دائما، فبعد هذه الحادثة ولى الإمام رجلا آخر على الظاهرة بأسرها، فأبى بعض الناس تسليم أحد الحصون له ، وطلبوا أن يبقوا فيه، فلم يوافق الإمام على ذلك، وعزم على حربهم.

غير أحد مستشاريه رأى السكوت عنهم، إلا أن الإمام رفض ذلك. لكنه خاف أن يستفحل الأمر ، فبقيت المعادل في يد أهلها وبقي في نفسه شيء.

وبعد أن رجعوا، جمع الإمام مشايخ العلم، وطلب الاستقالة من المنصب وليختاروا من يروونه إماما لهم، وما كان ليترك المسلمين إلا لما رآه من التحزب الباطل في عدم إنفاذ الأوامر والمساواة في نزع المعادل من أيدي الظلمة المتغلبين، وأنه المسؤول والمؤاخذ. فاجتهد القضاة في محاولة تغيير رأيه، واحتد عليه بعضهم حتى رجع.³

¹ الشيبة، النهضة، 315-318

² الشيبة، النهضة، 326-328

³ الشيبة، النهضة، 326-328

- المطلب الثالث: التحقق من الخصوم قبل بت الحكم، ولزوم الإنصاف:

من البديهي في شخصية كشخصية الإمام، أنها لم تكن متسعة في إلقاء التهم وتتبع الزلات، ولا كانت شخصيته عاطفية تميل إلى المستجدي والمستعطف المتظلم. بل كان إن رُفعت إليه شكوى على أحدهم ولم تثبت عنده، تأني حتى يستمع من المدعى عليه ويحقق في الدعوى، ثم يبت في الحكم.

فقد تمرد أهل بعض المناطق على واليهم، فحاول معهم بالنصح والإرشاد، إلا أنهم لم يرتدعوا، لذا عاملهم بالقوة لإخضاعهم حتى أوهنتهم، فذهبوا إلى الإمام وطلبوا منه استحضر الشيخ لمناقشته فيما فعله، لأنهم اتهموه أنه فعل ذلك لحاجة في نفسه لا لمحض الإصلاح، فجمعهم الإمام معه في جامع نزوى وطلب منه تبرير أفعاله، فقدم تقريره عن ذلك وما استند عليه من الأدلة وأقوال العلماء والآثار في فعله، وأنه لم يفعل ذلك لحقد فيه عليهم. فنظر الفقهاء والإمام في كلامه، ثم حكم الإمام بصحة فعله، وأقام خطبة في ذلك قال فيها إن ما أمضاه محمد بن سالم فهو عن أمري.¹

وتآمر أناس من بعض القبائل على قتل أحد العلماء في قبيلة عدوة لهم في وقت هدنة، وبعد الهدنة ردت تلك القبيلة عليهم بشدة حتى أوهنتهم، وكانت كلتاها تحت حكم السلطان، فلجأ المتآمرون إلى الشيخ عيسى بن صالح ليساعدهم، فكتب إلى الإمام بذلك. فخرج الإمام وعسكر عندهم وطلب وصول رئيس المتآمرين، فلما حضر طلب منه الإمام أن ينصف من نفسه أولاً بإحضار القاتل، فاعتذر عن ذلك، فقال له الإمام: "اذهب إلى السجن أولاً حتى ينظر العلماء في أمرك".

عندها قال: "إن كانت مساعدتكم بهذه الطريقة سأنظر في أمري".

ثم طرح الأمر على السلطان، وعرض عليه أن يكتب لأحد الأعيان عند الإمام أن يتوسط للصالح، ويساعده هو بالمال، والإمام بالرجال. ففعل ذلك، غير أن الحرب استمرت مرة أخرى، حينها لم المتآمرون بدا من طلب المساعدة مرة أخرى، ورأى رئيسهم ألا محيص من قبول الحق، فاعتنق الشيخ عيسى مرة ثانية، فاستعان الشيخ

¹ الشيبة، النهضة، 330-331

بالإمام، لعلمه أن هؤلاء لا يوافقونه إلا بالضغط، وضغطهم لا يكون إلا من قادر، ولأن أعداءهم يوازنون حكومة أكبر من إحدى إمارات الساحل الكبرى. فخرج الإمام لأجل ذلك، أقام ببلادهم وأصلح شأن الفريقين وانطفأت الثائرة وصدرت المعاهدات والاتفاقيات، ودخلت تلك البلاد تحت طاعة الإمام وأقام عليهم واليا من عنده، ورغم اعتراض السلطان على ذلك بقيت تلك البلاد تحت الإمامة.¹

وربما يستجيب الإمام في بعض الحالات لما ينقل إليه، لا لاغترار به وإنما من باب السياسة وكف الشر، فيذكر عنه أنه زادت الوشائيات عنده ضد أحد المشايخ، حتى قرر الإمام سجنه، وبعد يومين أو ثلاثة أطلق سراحه وكان ذلك في يوم الجمعة، ولم يتوان بعد ذلك في توضيح سبب فعله هذا دفعا للظنون، فبعد الصلاة خطب الإمام في الناس قائلا عن ذلك الشيخ "لا يظن ظان أنا أدخلناه السجن لذنوب ارتكبه أو معصية فعلها، حاشاه عن ذلك وإنما سجنناه لسياسة اقتضت ذلك."²

- المطلب الرابع: إقدامه وشجاعته، وأثر ذلك في نفوس جنوده:

كان الإمام لا يكتفي بإصدار الأوامر إلى جيشه للقيام بالمهمات، وهو قابع مكانه في حصنه بين حاشيته وأهله، بل كان هو قائد جيشه أغلب الأحيان، فيكون شاهدا للوقائع، مشاركا لجيشه في ما يتحملونه من مصاعب وعسر، إلا في بعض الأحيان حين يرهقه المرض وتقدم السن.³

وقد ذكرنا كيف أنه في إحدى معاركه ضد قطاع الطرق، كان مشاركا لجيشه في ضنك الحال الذي واجهوه بسبب غلاء الأسعار، حتى لم يكن لهم ما يأكلونه إلا التمر والعوال.⁴

ولا يكتفي بذلك، بل يذكر عنه أنه لما كان مع جيشه في بركاء، ويتراءون البارجة في البحر، أمطرت عليهم وابلا من الرصاص فرقمهم، وصاروا يتحيزون ويتحرفون، إلا الإمام الخليلى لم يغير من مشيه، حتى من بطء إلى

¹ الشبية، النهضة، 376-380

² الشكيلي، مدرسة الإمام محمد بن عبد الله، 51

³ انظر: الشبية، النهضة

⁴ الشبية، النهضة، 373-374

سرعة، والرصاص حوله كالمطر، فقليل له: لم لا تأخذ حذرك؟ قال: لأي شيء خرجنا إلا لإحدى الحسينين؟ ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (٥١) التوبة: ٥١¹

وكان الإمام لا يتوانى عن أن يجود بماله لحمل نفقات الجيش، ففي أول واقعة له، حمل الإمام من بيته الذي بسمائل دون بيت المال ما يحتاج إليه من سلاح ورصاص ودراهم ما يكفي لهذه الغزوة.²

وحين يرى الجنود كيف أن قائد دولتهم وحاكمهم يشاركهم أخطار القتال، ويقاسمهم مصاعب المعارك، ويتحمل معهم مشقة الحرب، فلا شك أن ذلك يبعث في نفوسهم مزيدا من التشجع والرغبة لخدمته، والإخلاص له، والتقدير لشخصيته، فكيف إذا زاد مع كل هذا الإقدام والشجاعة منقطعة النظير، بحيث يزيد عليهم في ذلك؟!!

المبحث الخامس: علاقته مع الحكومات الأخرى.

- المطلب الأول: مع حكومة السلطان:

بدأت الثورة في مشروعها بمحاربة السلطان، وإدخال مناطق حكمه تحت رايتها، وكان هدفها الواضح بسط سيطرتها على كل عمان.

ولكن تبدلت الأحوال في عهد الإمام الخليلي، وصارت علاقتهم بحكومة السلطان غير العلاقة الأولى، التي كانت في بداية الثورة، حتى أوائل تنصيبه إماما عليها.

ويرجع ذلك إلى مخطط الاستعمار البريطاني للحد من توسع الثورة، لما في ذلك من تهديد مصالحهم مع السلطان.

¹ الشكيلي، مدرسة الإمام محمد بن عبد الله، 72

² الشيبه، النهضة، 306-307

فقد قرر القنصل البريطاني منذ عودته من الهند برفقة السلطان، تشديد الضغط الاقتصادي على الإمامة لإرغامها على قبول شروطه م والتفاوض معهم، فتم رفع الرسوم على التمور الواردة من أراضي الإمامة بمعدل 50%. وبعد سلسلة من المراسلات، قرر الإمام الدخول في المفاوضات لإيجاد حل يجنب عمان والشعب العماني الدمار والمآسي.

التقى مندوبا الإمام والسلطان في السيب، وبعد يومين طويلين من المحادثات، توصل الطرفان إلى اتفاق مبدئي يمتنعان بموجبه عن التدخل في شؤون بعضهما. ونتيجة لذلك قبل القنصل تخفيض الرسوم على تصدير تمور الإمامة. ولكن المفاوضات اصطدمت بمسألة أساسية أثارها الإنجليز، فقد رفض القنصل طلب الوفد العماني أن توقع المعاهد النهائية من جانب السلطان وإمام المسلمين معا، لأن ذلك يعني أن السلطان يعترف بزعيم آخر. وقد رفض الإمام هذا الاقتراح، إلا أنه لم يبقَ للشورة التي بلغت من الضعف ما بلغت ما يكفي من الوزن لفرض إرادتها. وحاول القنصل إقناعهم بذلك عن طريق قصة صلح الحديبية ومسح النبي عليه الصلاة والسلام للفظ "نبي الله"¹، وبعد تداول رسمي ابتسم الشيخ، ولم تستعمل كلمة "الإمام" في نص الاتفاق نفسه الذي كان مجرد إعلان للشروط المتفق عليها بين حكومة السلطان وعيسى بن صالح ممثل القبائل العمانية.

على أن هذا الحل لم يحقق النتائج التي توقعها الإنجليز، فلقد صودق على المعاهدة في نهاية المطاف من جانب السلطان والإمام، وهو ما يثبت الانفصال واستقلال الطرفين: السلطنة والإمامة.

وتوصل الطرفان إلى الصيغة النهائية لهذه المعاهدة التي عرفت فيما بعد باسم معاهدة السيب، ووضعت حدا للشورة، وكانت فيها أربعة شروط تتعلق بحكومة السلطان وأربعة بالشعب العماني:

¹ قد تثار هنا مسألة موقف الإباضية من قضية التحكيم بين الإمام علي ومعاوية بن أبي سفيان، وإنكارهم لمسح الإمام علي اسم إمارته من كتاب التحكيم، وعدّهم ذلك خلعا منه لنفسه، مع أنه احتج كذلك بقضية صلح الحديبية، إلا أنهم لم يروا -كما نقل عن أسلافهم وأيده متأخروهم- أن هذه مسألة يصح القياس فيها مع رسول الله ﷺ، إذ الرسالة من عند الله ولا تزول، كالأم التي لا تنتفي نسبة الولد إليها. بخلاف الإمارة التي هي تنصيب من قبل الناس، ويمكن زوالها بالعزل، كالزوجة التي يثبت نسبتها إلى الزوج العقد، وينهيها الطلاق. (انظر: السالمي، عبدالله بن حميد، **جوابات الإمام السالمي**، مكتبة الإمام السالمي، سلطنة عمان، ط 1، 1996، 22/6)، وقد يقال إن ذلك حصل بعيدا عن الإمام، إضافة إليه أنه كان احتيالا لصعوبة الموقف الذي كانت فيه الإمامة، ثم ما لبث أن أعيد اسم الإمام في وثيقة المعاهدة بعد ذلك.

أما المتعلقة بالشعب العماني فهي:

- 1 - يستقطع مبلغ 50% على الأكثر من البضائع، المصدرة من عمان والموردة إلى مسقط أو إحدى مدن الساحل مهما كان نوعها.
- 2 - يتمتع جميع العمانيين بالأمن والحرية في جميع مدن الساحل.
- 3 - ترفع جميع القيود المفروضة على الدخول إلى مسقط وأي مدن الساحل، أو على حرية الخروج منها.
- 4 - لن تعطي حكومة السلطان حق اللجوء لأي مجرم يحاول الفرار من العدالة العمانية. وستسلم إلى العمانيين كل مجرم يطلب منها تسليمه، ولن تتدخل في شؤونهم الداخلية.

أما الشروط الأربعة العائدة لحكومة السلطان:

- 1 - يتعايش جميع المشايخ والقبائل في سلام مع حكومة السلطان، ويتعهدون ألا يهاجموا مدن الساحل وبألا يتدخلوا في شؤون حكومة السلطان.
- 2 - يتمتع بالحرية جميع أولئك الذين يدخلون عمان لغايات مشروعة أو لإجراء عمليات تجارية، ولا يخضعون لأي حصر في النشاطات التجارية، ويتمتعون بالأمان.
- 3 - تطرد عمان كل مجرم أو شرير يحاول اللجوء إليها، ولا تمنحه حق اللجوء.
- 4 - تدرس الطلبات التي يقدمها التجار وغيرهم ضد بعض العمانيين ويفصل فيها على أساس العدل ووفق شريعة الإسلام.

وهكذا بعد سبع سنوات من الحرب، انتهت ثورة 1913 إلى تقسيم عمان إلى قسمين شبه مستقلين: "إمارة عمان" في الداخل، و"سلطنة مسقط" على الساحل.¹

فلمعاهدة كانت إذن أمراً أُلجئت إليه الإمامة اضطراراً، ولم يكن عن رغبة الإمام، إذ قد سبقتها محاولات للصلح بين الطرفين باءت بالفشل، بسبب الأصوات المعارضة في الإمامة.¹

¹ غباش، عمان الديمقراطية، 292-296

ثم بعد ذلك تطورت الأوضاع، خصوصا في عهد السلطان التالي الذي حافظ على علاقة أكثر ودية مع الإمام، فزالت بعدها علاقة الجبهتين المتقاتلتين -أو ربما غابت إلى أجل، ثم أصدر لها النفط تأشيرة عودة في عهد الإمام غالب- وصارت هناك علاقة تعاون واشتراك واحترام.

ومن الجدير بالذكر أن الشيخ الباروني كان له أثر في إزالة العقبات بين الإمام والسلطنة².

يدلنا على العلاقة الودية التي تكونت بين السلطان والإمام، بعض المواقف من الطرفين، فمن جانب الإمام، يذكر من مواقفه أنه أمر كاتباً أن يكتب للسلطان في بعض المهمات، ولما فرغ من الكتابة عرضه على الإمام، فلم يعجبه وانتقده عليه لخلوه في التصدير من التمجيد والتعظيم، فأمر كاتباً آخر فكتب الكتاب طبق المقصود، فاستحسنه الإمام وأعجبه وأنفذه،³ وذلك مراعاة لمنزلة السلطان وما جرت عليه العادة معه.

وفي رسالة إلى أحد رجاله، يقدر الإمام فيها تعاون السلطان معهم ويقول: (وأما ما ذكرته من شأن السلطان فلم يزل مساعداً إلى الخير، ونحن كذلك، والرابطة العظمى الدين)، (اللهم إنا التمسناهم في المناصرة على البغاة فناصروا).⁴ مشيراً بذلك على ما يبدو إلى قضية البريمي، التي سنذكرها لاحقاً.

ولم تكن هناك حروب بين الإمام الخليلي والسلطان، بل كانا يدافعان عن عمان معا.⁵

وأما من جانب السلطان، فكما يبدو كان موقفه إيجابياً أيضاً، إذ يُقدّر له اجتيازه بالدولة في المحنة الاقتصادية القاسية التي تلت الحرب العالمية، وقد سارت الأمور بينه وبين الإمام مسارا محمودا بخطى ثابتة، لم تشنها أطماع الأجانب ولا دسائس المغرضين.

¹ الخليلي، كلمة، 35-36

² الشيبة، النهضة، 340-342

³ الزهيمي، الآثار الفكرية، 101

⁴ الإمام الخليلي، الفتح الجليل، 69

⁵ الشكيلي، مدرسة الإمام محمد بن عبد الله، 24

وقد تضافرت في عدة مجالات، خصوصا حينما حل الخطر الذي كاد يهدد القطر العماني بأسره، وهو احتلال البريمي مرة أخرى من جانب السعوديين.

ثم تلاحقت الأحداث، وترادفت الرسائل، وتضافرت الجهود، وجاب الرسل بين السلطان والإمام للنظر في هذه القضية، حتى إذا ما بدأ جيش الإمام بالتحرك لحسم القضية، أتاها رسول الإمام ينقل رسالة السلطان لهم بالعودة، فقد تحدث القنصل البريطاني عن اتفاق ملخصه أن تحل القضية في مجلس الأمن، فبقيت مسألة البريمي تراوح هناك، وكان الإمام في اعتلال من صحته، فتوفي قبل حسمها نهائيا.¹

- المطلب الثاني: العلاقة مع الدول الخارجية:

حاول الإمام أن يقيم علاقات مع الدول العربية المحيطة، بحيث تكون هناك جسور تواصل بينها وبين عمان، وعلاقات ودية تقيم مصالح بين الأطراف.

فقد وجه رسالة إلى الباروني يطلب منه تمثيل الأمة العمانية في حضور مؤتمر منعقد حول الخلافة الإسلامية والأماكن المقدسة.

وفيها أيضا استحسن لتكليف السلطان إياه بالتوجه إلى الحجاز مندوبا من طرفه وحاملا نصيحة إلى المتحاربين حول بيت الله الحرام.²

كما طلب الإمام الخليلي عام 1954 الانضمام إلى جامعة الدول العربية، ولكن نتيجة للظروف السياسية والمتغيرات الإقليمية التي كانت تمر بها البلاد تلك المدة لم تكلل تلك الجهود بالنجاح.³

كانت هناك مراسلة بين الإمام وبعض الأعيان في مصر، مثل السيد محمد رشيد رضا، والرئيس الأول لجمهورية مصر محمد نجيب.⁴ أضف إليها رسائله إلى ملوك السعودية وأمرائها، مصدرة ب(الملك المحترم المعظم، الملك

¹ الخليلي، كلمة، 66-73

² الإمام الخليلي، الفتح الجليل، 50

³ الزهيمي، الآثار الفكرية، 108

⁴ الزهيمي، الآثار الفكرية، 107

المبجل العزيز)، وهي إيصاء بالحجاج العمانيين وأعيان الدولة، وطلب لمساعدتهم في بعض المهام، ويتبعها تبليغ السلام ودعاء بالحفظ. ورسالة أخرى ودية تظهر الامتنان والعرفان لحسن العلاقة، ودعوة للاتصاف بأوصاف عباد الله المتقين، وتوحيد صفوف المسلمين وإمارة الانتماء للمذاهب.¹

ورغم ذلك لم يكن الإمام في هذه العلاقات غافلا عن مطامع الملوك وتطلعاتهم، بل كان منتبها متحرزا في ذلك، فعندما جاء أحد شيوخ السعودية إلى الإمام لإعطائه قناعات في تثبيت واقع الاحتلال للبريمي، عارضا مساعدات جلييلة قال عنها إنها من لدن الملك لتنمية البلاد وفك رهون بيت المال وما يلزم في المستقبل، اعتذر الإمام عن قبول هذه المساعدات -بعد أن قضى واجب الضيافة-، وأجاب أنه لا يملك حلا لقضية البريمي إلا رجوعها لأصلها، فالملوك "إذا أعطوا درهما، يريدون به دينارا".²

وهذه العلاقات الحسنة التي أقامها الإمام مع الدول المحيطة، أبقت احترامه عندهم حتى بعد وفاته، وقد صلى عليه الإباضية المغاربة في المغرب، وصُلي عليه في جميع مساجد زنجبار.³

وبعد وفاته ونعيه، ورد كتاب من ميزاب في تعزيتته والأسف عليه، يحمل كثيرا من عبارات الحزن والأسى.⁴

وكذلك أمر ملك السعودية في ذلك الوقت أن يصلى عليه صلاة الغائب في الحرمين المكي والمدني⁵، وإن كانت هذه النقطة مثار استفهام، فإذا ما استثنينا الخلاف المذهبي والتاريخي العميق بين الدولتين، وقلنا إنه طويت صفحة التاريخ، وتغوضي عن مسألة المذاهب بسبب العلاقة الودية التي اجتهد الطرفان في إقامتها، فإنه تبرز لنا قضية البريمي التي استجدت مرة أخرى في نهاية عهد الإمام، ووصل الأمر إلى أن يرسل الإمام جيشا لحسم

¹ النهضة، الشيبة، 398-403. الإمام الخليلي، فتح الجليل، 50-55

² الخليلي، كلمة، 67-68

³ الشكيلي، مدرسة الإمام محمد بن عبد الله، 36-38

⁴ الشيبة، النهضة، 407-411

⁵ الشكيلي، مدرسة الإمام محمد بن عبد الله، 36-38

القضية، لما لم تُجدِ المفاوضات الكلامية فيها، ولم يأخذ ملك السعودية طلبهم السلمي بجدية ملقيا اللوم على المستعمر.¹

وبما أن القضية لم يحسم فيها بشيء أثناء موت الإمام، وإنما تاهت في مجلس الأمن، فلعله يمكن حمل هذه الخطوة على أنها استمالة واستشارة عواطف عند العمانيين، لأجل أن يكون لدى الحكومة السعودية رصيد عندهم في المرحلة القادمة، على غرار زيارة الشيخ السعودي والمساعدات المعروضة من لدن الملك..

¹ الخليلي، كلمة، 65-72

الختامة

بهذا نصل إلى نهاية البحث، وكانت أبرز النتائج التي يمكن تأطيرها ضمن الفكر السياسي من خلال سيرة الإمام:

- هدف الدولة عند الإمام الخليلي هو تحقيق الشريعة الإسلامية الربانية، وليس ذلك بالمنظور الضيق في إقامة الحدود، بل يسبق ذلك جميع النواحي الأخرى، من نشر العدل، وتحقيق السلم، وتشجيع العلم.
- نظام الحكم كان يدور حول الإمام، فبيده الإبرام والعقد النهائي، ولكنه كان يشرك الرعية والعلماء في ذلك بفتح باب الاقتراح والاعتراض، بل بتوجيه الأسئلة والاستشارات وطلب النصح. إنما له القرار في قبول ذلك أو رده بحسب ما يراه.
- صفات الحاكم في شخص الإمام الخليلي كانت: العلم، والتقوى، وعلو النسب، والحلم، والشفقة والرأفة على الرعية، والتواضع، إضافة إليها الحنكة السياسية، والحزم في جلائل الأمور.
- قسم الإمام الشعب على طبقات ثلاث:
 - أ) طبقة الرعية: وهؤلاء لهم النظر في حوائجهم، وتوفير حقوقهم، وتحقيق العدالة بينهم.
 - ب) طبقة شيوخ القبائل والزعماء: وهؤلاء تُقدر مناصبهم الاجتماعية، بإظهار قدر أكبر من الاحترام لهم، وتقريبهم في المجالس، وإشعارهم بأهمية قدرهم.
 - ج) طبقة العلماء: وهؤلاء لهم حق المشاركة السياسية، من تقديم الاستشارات، وتولي المناصب المهمة.

فالنظام الطبقي عند الإمام لم يكن كما هو في الشعوب والحضارات الأخرى، التي ترتب عليه تقسيم الثروة بين هذه الطبقات، ورفع بعضها على بعض في الحقوق الاجتماعية، وإنما هو قائم على معيار ديني واجتماعي، ولا يترتب عليه التفاوت في الحقوق، بل هو يبني عليه زيادة احترام فقط — بالنسبة لشيوخ القبائل — وهو ما أولاهم إياه العرف الاجتماعي من الناس أنفسهم، ولا يعني ذلك إساءة معاملة الرعية في المقابل، بل هم يحظون بالمعاملة اللائقة أيضا، ولكن في المستوى الطبيعي.

وبالنسبة للعلماء، فحق المشاركة السياسية تحقق لهم نتيجةً طبيعية لاختصاصهم وبعد نظرهم وصلاحياتهم لهذا الأمر، في دولة يقوم أساسها على تطبيق الشريعة الإسلامية بحذافيرها، ويمكن لأفراد الطبقتين الآخرين الارتقاء إلى هذه الطبقة إن سعوا إلى ذلك وحققوا شرطها. على أن ميزة تحمل معها أيضا محاسبة أكثر في التعامل والتدقيق، فلا بد لهم أن ييقوا أنفسهم على قدر من الورع والابتعاد عن الشبهات، والتنزه عن مطامع الدنيا والتزلف إلى الملوك، وحين الوقوع في شيء من ذلك، فإن العتاب الموجه إليهم ليس كالموجه إلى غيرهم. ولكونهم ينتظر منهم أن يكونوا أكثر الطبقات تفهما وصبرا ومراعاة للدولة، فرما يحصلون على أحكام قاسية أحيانا تصل إلى سجنهم دون ذنب، إلا من باب السياسة لأجل المحافظة على الاستقرار.

كما أن فتح ميزة المشاركة السياسية لهم لا يعني غلقها تماما على غيرهم، خصوصا في باب تقديم النصائح والمشورات، بل يمكن ذلك لغيرهم، ولكن بالتأكيد سيكون في مجال أضيق.

- نستخلص من المباحثات الفقهية التي كان يجريها الإمام مع فقهاء زمانه، إضافة إليها إقامة المدرسة في نزوى والاهتمام بها، ثم مع ذلك اهتمامه بمختلف شؤون الرعية، من نظر في المصالح، وتطبيب، وأمر بمعروف ونهي عن منكر، أن الحكم عند الإمام لم يكن يعني الانصباب على شؤون السياسة ومهمات الحكم فقط، بل كان وهو إمام:

أ) عالما -وهي نتيجة طبيعية لشرط الإمامة عند الإباضية-.

ب) ومعلما يباشر بنفسه مهمات التعليم ويشرف عليها، ولا يقصر ذلك -كما جرت العادة عند

الحكام- على مجرد الأوامر والنفقات لإنشاء المدارس والتشجيع على التعليم.

ج) وطببيا يعالج الناس والدواب بيديه.

وبهذا فقد استوفى الإمام إحدى الصفات المثالية التي وضعها أفلاطون للحاكم، وهي صفة "الحاكم

الفيلسوف"، التي رآها بعيدة المنال حتى وضع نظرية بديلة عنها.

ولكن كان ذلك عند الإمام على الطريقة الإسلامية، بلا استبداد بالحكم، ولا جعل الحاكم في طبقة أرقى من طبقة الشعب.

ولم يكن يطبق هنا "إخضاع كل شيء للحاكم الفيلسوف"، وهذا شيء تقتضيه الشريعة الإسلامية التي كان يسير عليها الإمام، فكم روجع في قراراته، وكم عدل عنها، وكم سأل عما ينبغي فعله، من غير الأمور التي فوض فيها الأمر إلى عماله.

والأكبر من ذلك، الحالات التي كاد يعتزل فيها الإمام عن الحكم، إما بطلب منه، أو باتفاق من جماعة مخصوصين، وقد ذكرت موقفين في البحث، إلا أن هناك مواقف أكثر تنوقلت ولكن لم تسعفي المراجع فيها، فلم يكن للإمام أن ينصب نفسه، فضلا عن أن يبقى نفسه في منصبه، بل أن يرفض تولي المنصب أو يعتزل بذاته منه.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

تم هذا البحث بفضل الله

التوصيات:

- استخراج رسائل العمال والعلماء والقضاة إلى الإمام الخليلي.
- جمع الكتابات الخارجية -عربية وأجنبية- عن سيرة الإمام وسياسته، لأخذ الانطباع الخارجي عن حكمه بشكل أوضح.
- أفراد نقولات معاصريه عنه في مؤلف مستقل.
- العناية أكثر بدراسة ظواهره السياسية، خصوصاً التي تميز بها عن سابقه.
- دراسة كيفية إمكانيته من الاستمرار في الحفاظ على ثمار الثورة مدة حكمه (35) مع كثرة الاختلافات والمؤامرات التي حصلت له.
- استقصاء التغييرات والإضافات التي أجراها في الدولة، عن الحكم الإمامي المتعارف عليه.
- التدقيق في الحدود والأحكام التي نقلت عنه -وأعني التدقيق في ثبوتها ووقائعها، لا صحة تطبيقها-.

المصادر والمراجع:

أولاً: الكتب:

- ابن القيم، محمد بن أبي بكر، الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، دار الكتب العلمية، لبنان-بيروت
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، تحقيق حامد أحمد الطاهر، دار الفجر للتراث، مصر-القاهرة، ط1، 1425-2004
- ابن رزيق، حميد بن محمد، الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، 1397-1977
- ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، دار إحياء التراث العربي، لبنان-بيروت، ط1 1422-2001
- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، لبنان-بيروت، ط1، 2000
- الأزكوي، سرحان بن سعيد، كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة، تحقيق د. حسن محمد النابودة، دار البارودي، لبنان-بيروت، ط1، 1427-2006
- أغوشت، بكير بن سعيد، قطب الأئمة العلامة محمد بن يوسف أطفيش، مكتبة الضامري، عمان-السيب
- بركات، د. نظام محمود، مقدمة في الفكر السياسي، دار عالم الكتب، السعودية-الرياض، طبعة 1405-1985
- البوسعيدي، سالم، الرائع في التاريخ العماني، مكتبة الأنفال، عمان-مسقط، - لم يذكر عدد الطبعة ولا تاريخها-
- الجرجاني، علي بن محمد، كتاب التعريفات، دار إحياء التراث العربي، لبنان-بيروت ط1، 1424 - 2003

- الحارثي، عبدالله بن سالم، أضواء على بعض أعلام عمان قديما وحديثا، المطابع العالمية، عمان-
روي
- الحمداني، د. قحطان أحمد، الأساس في العلوم السياسية، دار مجدلاوي، الأردن-عمان، ط1،
2004-1245
- الخليلي، أحمد بن حمد، شرح غاية المراد في نظم الاعتقاد، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، سلطنة
عمان، 2003-1424
- الخليلي، أفلح بن أحمد، السياسة الشرعية عند الإمامين المحقق الخليلي والعلامة السالمي، ذاكرة
عمان، عمان-مسقط، ط1، 2016-1437
- الخليلي، سعود بن علي، كلمة "صفحات من تاريخ عمان"، دار أبعاد، لبنان-بيروت، ط2،
2015
- الخليلي، الإمام محمد بن عبدالله، الفتح الجليل من أجوبة أبي خليل، جمع وترتيب: سالم بن حمد
الحارثي، ضبط النص: أحمد بن سالم الخروصي، ذاكرة عمان، عمان-مسقط، ط1، 2016-1437
- درويش، د. عبد الحميد، الإمامة والتقية عند مفكري الإباضية، عالم الكتب، مصر-القاهرة، ط1،
2007-1428
- الراشدي، سليمان بن جابر، السلطان سعيد بن سلطان حاكم خلوده التاريخ، ط1/ 1426-
2005
- الزركلي، خير الدين، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت-لبنان، ط16، 2005
- الزمخشري، جار الله محمود بن عمر، أساس البلاغة، دار المعرفة، لبنان-بيروت
- زنجاني، عباس عميد، الفكر السياسي في الإسلام المبادئ والأطر العامة، تعريب: ضياء الدين
الخرزجي، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، لبنان-بيروت، ط1، 2010
- الزيني، د. محمد عبد الرحيم، المنهج النقدي عند الإمام السالمي، دار اليقين، مصر-المنصورة، ط1،
2016-1437
- السالمي، عبدالله بن حميد، تحفة الأعيان بحرية أهل عمان، مكتبة الاستقامة، 1997-1417

- السالمي، عبدالله بن حميد، **جوابات الإمام السالمي** ، مكتبة الإمام السالمي، سلطنة عمان، ط 1، 1996
- السعدي، جميل بن خميس، **قاموس الشريعة الحاوي طرقها الوسيعة**، مكتبة الجيل الواعد، ط1، 2015-1436
- السيفي، محمد بن عبدالله، **النمير روايات وحكايات** ، الموسوعة العالمية للتجليد - لم يذكر عدد ولا سنة الطبعة
- السيفي، محمد بن عبدالله، **النمير**، مكتبة وتسجيلات غاية المراد، 2005-1426
- شريف، مصطفى بن محمد، **الشيخ نور الدين السالمي مجدد أمة ومحبي إمامة**، جمعية التراث، الجزائر-غرداية، ط1، 2011-1432
- الشكيلي، إبراهيم بن محمد، **مدرسة الإمام محمد بن عبدالله الخليلي وأثرها في نشر العلم**، حقوق الطبع والنشر محفوظة للمؤلف، ط1، 2013-1434
- الشيبه، محمد بن عبدالله السالمي، **نهضة الأعيان بحرية أهل عمان** ، دار الجيل، لبنان-بيروت، ط1، 1419
- شيخاني، سمير، **صانعو التاريخ**، مؤسسة عز الدين، بيروت-لبنان، 1996-1416
- عباس، فيصل، **موسوعة الفلاسفة**، دار الفكر العربي، لبنان-بيروت، ط1، 1996
- عبدالله، د. عبدالغني بسيوني، **النظم السياسية أسس التنظيم السياسي**، منشأة المعارف بالإسكندرية، 1991
- العبري، د.علي بن هلال، **الإمامة في الفقه الإسلامي دراسة مقارنة**، مكتبة الضامري، عمان-السيب، ط1، 2015-1436
- عطوة، عبدالعال أحمد، **المدخل إلى السياسة الشرعية** ، مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، السعودية، ط2، 2004-1425
- العلي، بلال موسى، **الإمامة الإباضية والاستعمار** ، مركز الدراسات والوثائق، الإمارات-رأس الخيمة، ط1، 2009

- غباش، د.حسين، عمان الديمقراطية الإسلامية تقاليد الإمامة والتاريخ السياسي الحديث 1500-1970، دار الفارابي، لبنان-بيروت، ط4، 2006
- الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين، تحقيق د.مهدي المخزومي ود.إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال
- القرشي، باقر شريف، النظام السياسي في الإسلام، دار التعارف للمطبوعات، لبنان-بيروت، ط3، 1402-1982
- القرضاوي، د.يوسف، السياسة الشرعية في ضوء نصوص الشريعة ومقاصدها، مكتبة وهبة، مصر-القاهرة، الطبعة الثانية 1426-2005
- الكندي، أبو بكر أحمد بن عبدالله، المصنف، تحقيق د.مصطفى بن صالح باجو، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، سلطنة عمان، ط1، 1437-2016
- الكندي، د.محسن بن حمود، الشيبة أبو بشير محمد بن عبدالله السالمي رحلة حياة ومسيرة واقع، رياض الريس للكتب والنشر، لبنان-بيروت، ط1، 2011
- لاندن، روبرت جيران، عمان منذ 1856 مسيرا ومصيرا، ترجمة محمد أمين عبدالله، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، ط3، 1404-1983
- مجموعة باحثين، عمان في التاريخ، دار أميل للنشر، لندن، 1995م
- وعلي، بكير بن بلحاج، الإمامة عند الإباضية بين النظرية والتطبيق مقارنة مع أهل السنة والجماعة، مكتبة الضامري، عمان-السيب، 1431-2010
- يعقوبي، محمود، معجم الفلسفة أهم المصطلحات وأشهر الأعلام، دار الكتاب الحديث، القاهرة، ط1، 1429-2008.

ثانيا: البحوث:

- الزهيمي، إسحاق بن سيف، الآثار الفكرية عند الإمام محمد بن عبد الله الخليلي، بحث مشارك به في مسابقة ابن عمير للبحث العلمي، 2010-1432
- الهيملي، سالم بن سعود، الإمام أبو بلال مرداس بن حدير منهجه وجهاده في الدعوة، بحث تخرج في كلية العلوم الشرعية، 1995-1415

ثالثا: المواقع الإلكترونية:

- ألف لحرية الكشف في الإنسان والكتابة [/http://aleftoday.info](http://aleftoday.info)
- جامعة ابن زهر منتدى كلية الحقوق أكادير [/http://www.fsjes-agadir.info](http://www.fsjes-agadir.info)
- مدونة علوم الاتصال والإعلام [/http://infocom-itfc.blogspot.com](http://infocom-itfc.blogspot.com)
- منتدى الدكتور عادل عامر [/http://adelamer.sos4um.com](http://adelamer.sos4um.com)
- منتدى الطلبة الجزائريين [/http://30dz.justgoo.com](http://30dz.justgoo.com)
- منتديات العلوم السياسية [/http://siyassa.3oloum.org](http://siyassa.3oloum.org)
- وكالة أنباء البحرين [/http://bna.bh](http://bna.bh)
- ويكيبيديا <https://ar.m..wikipedia.org/>

رابعا: المقابلات الشخصية والمحاضرات:

- الشعيلي، محمد بن سليمان، محاضرة ألقاها في سناو شهر شوال عام 1436هـ
- الراشدي، سام بن بدر، مقابلة شخصية، 10 رجب 1437هـ، 18 إبريل 2016، نقلها عن خاله يحيى بن سفيان الراشدي.

- الراشدي، حمود بن عبدالله، مقابلة شخصية، ليلة الجمعة 30 جمادى الآخرة 1437هـ، 9 إبريل 2016.

فهارس الآيات:

- 48..... ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا...﴾ البقرة: ١٢٤
- 49..... ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ النساء: ٥٩
- 46..... ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ...﴾ النساء: ٨٣
- 45..... ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ...﴾ الأعراف: ٣٣
- 82..... ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ...﴾ التوبة: ٥١
- 52..... ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ...﴾ التوبة: ١١١
- 45..... ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا...﴾ النحل: ١١٦
- 47..... ﴿وَأْمُرْهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ الشورى: ٣٨

إهداء.....	أ
شكر وتقدير.....	ب
ملخص	1
المقدمة	3
الفصل الأول: الفكر السياسي	8
المبحث الأول: التعاريف	8
المطلب الأول: الفكر	8
المطلب الثاني: السياسة	9
المطلب الثالث: الفكر السياسي	14
المبحث الثاني: نشأة الفكر السياسي وتطوره	15
المطلب الأول: العصور القديمة (الحضارة اليونانية نموذجاً)	17
المطلب الثاني: العصور الوسطى (الحضارة الإسلامية نموذجاً)	19
المطلب الثالث: العصور الحديثة	23
المبحث الثالث: قضايا الفكر السياسي	24
الفصل الثاني: حياة الإمام، والأحوال المؤثرة على فكره السياسي	26
المبحث الأول: ترجمة الإمام محمد بن عبدالله الخليلي	26

المطلب الأول: نسبه	26
المطلب الثاني: حياته وتكوينه العلمي	26
المطلب الثالث: توليه الإمامة	28
المطلب الرابع: وفاته	30
المبحث الثاني: نظام الإمامة	30
المطلب الأول: نظرة عامة	31
المطلب الثاني: ثبوت الإمامة ووجوبها	32
المطلب الثالث: التكليف الشرعي لسلطة الإمام	32
المطلب الرابع: صفات الإمام	33
المطلب الخامس: طريقة الوصول لمنصب الإمامة	34
المطلب السادس: أنواع الإمامة (الحكومات الشرعية الإباضية)	35
المبحث الثالث: الظروف المحيطة ذات التأثير على فكر الإمام	37
المطلب الأول: الأحوال الثقافية والدينية	37
المطلب الثاني: الظروف الجغرافية	37
المطلب الثالث: الأحوال الاقتصادية والسياسية	42
الفصل الثالث: الجوانب التي يبرز خلالها فكر الإمام السياسي	44
المبحث الأول: نظام الحكم عند الإمام وسياسته مع الولاة والعمال	44

المطلب الأول: العلاقة مع الولاة والعمال	44
المطلب الثاني: اهتمام الإمام بانفتاح الدولة على الخارج ومواكبة التطور	49
المطلب الثالث: مدرسة الإمام الخليلي وأثرها في تغطية احتياجات الدولة، و(الحاكم المعلم) في شخصية الإمام	50
المطلب الرابع: تفاقم الخلافات، وحفظ الإمام للدولة من الانحلال طول مدة حكمه	53
المبحث الثاني: تعامل الإمام مع الرعية	57
المطلب الأول: مع العامة	57
المطلب الثاني: مراعاة المناصب	59
المطلب الثالث: تطفه مع الأطفال	60
المطلب الرابع: الإمام طبيبا	61
المبحث الثالث: تعامله مع العلماء	62
المطلب الأول: مباحثاته مع العلماء في المسائل	62
المطلب الثاني: تنزيه الإمام للعلماء عن تطلب المطامع الدنيوية	63
المطلب الثالث: طلب النصح والحث على التشجع بالعلم، والاهتمام بأحوال العلماء	65
المطلب الرابع: اهتمامه بالتواصل مع العلماء من خارج عمان	66
المبحث الرابع: التصرف إزاء الفتن والمعارك	67
المطلب الأول: الجدد والمبادرة في التصرف	67

المطلب الثاني: التأني والسعي لحقن الدماء	69
المطلب الثالث: التحقق من الخصوم قبل بت الحكم، ولزوم الإنصاف	71
المطلب الرابع: إقدامه وشجاعته، وأثر ذلك في نفوس جنوده	72
المبحث الخامس: علاقته مع الحكومات الأخرى.	73
المطلب الأول: مع حكومة السلطان	73
المطلب الثاني: العلاقة مع الدول الخارجية:	77
الخاتمة	75